

Human Rights Organization in Jazeera

منظمة حقوق الإنسان في الجزيرة

24 November 2022

24 تشرين الثاني لعام 2022

تقرير عن الانتهاكات المرتكبة بحق المرأة و جميع أشكال العنف في مناطق شمال شرق سوريا بما فيها المناطق المحتلة من قبل الدولة التركية و فصائل المعارضة السورية المسلحة و ما تتعرض لهن النساء من قتل و خطف و اعتداء و انتحار و اغتصاب

يرصد هذا التقرير الانتهاكات المرتكبة في المناطق المذكورة من تاريخ 2022/1/1 و لغاية 2022/11/24



- **الجهة المعدة للتقرير:**
- منظمة حقوق الإنسان في الجزيرة :

وهي منظمة مدنية مستقلة تطوعية - تعددية تضم نشطاء في مجال حقوق الإنسان منذ تأسيسها عام 2013 تمارس نشاطها وفقاً لقرارات الهيئة العامة ومجلس الإدارة والنظام الداخلي للمنظمة بما يتوافق مع العقد الاجتماعي والقوانين المنظمة لمؤسسات المجتمع المدني في شمال وشرق سوريا وجاء تأسيسها كاستجابة موضوعية للوقوف عبر كافة السبل السلمية والقانونية والديمقراطية استناداً إلى المرجعية الفكرية لحقوق الإنسان المتمثلة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وكافة المواثيق والمعاهدات الدولية ذات الصلة ضد أي اعتداء من أي نوع كان على هذه الحقوق وعن أي جهة صدرت.

- **الهدف من التقرير:**

إعداد تقرير عن الانتهاكات و جرائم العنف التي ترتكب بحق المرأة في شمال شرق سوريا و خاصة في زمن النزاعات المسلحة و توثيق تلك الجرائم و الانتهاكات .

- **المرجعيات و مصادر المعلومات:**

اعتمدت المنظمة في إعداد التقرير على التوثيق والإحصاءات التي قامت بها كافة فروعها في الجزيرة والفرات ومنبج والرقعة ودير الزور .

- بالإضافة إلى ما وردها من معلومات من مكتب حماية المرأة والقيادة العامة لقوى الأمن الداخلي لشمال وشرق سوريا ولقاءات مع الضحايا وذويهم وشهود عيان على الحوادث المذكورة ومصادر إعلامية ونشطاء حقوقيين في شمال وشرق سوريا .

| | | |
|----|--|----------|
| 4 | المقدمة | أولاً |
| 5 | تعريف العنف ضد المرأة | ثانياً |
| 5 | أشكال العنف ضد المرأة | |
| 6 | أسباب العنف ضد المرأة | |
| 7 | آثار العنف ضد المرأة | |
| 30 | واقع المرأة في مناطق شمال شورو سوريا | ثالثاً |
| 8 | واقع المرأة في النزاع المسلح | رابعاً |
| 28 | واقع المرأة في المخيمات | خامساً |
| 30 | واقع المرأة في المناطق المحتلة | سادساً |
| 35 | الحلول لوقف العنف ضد المرأة | سابعاً |
| 36 | إحصائيات الانتهاكات المرتكبة بحق المرأة في شمال وشرق سوريا | ثامناً |
| 37 | القوانين و العقوبات الخاصة بالعنف ضد المرأة في الإدارة الذاتية | تاسعاً |
| 38 | القانون السوري الخاص بالعنف ضد المرأة | عاشراً |
| 39 | المعاهدات الدولية الخاصة بمناهضة العنف ضد المرأة | إحدى عشر |
| 39 | التوصيات | اثنا عشر |

- أولاً : مقدمة :

إن ظاهرة العنف ضد المرأة أوسع طريق لانتهاك حقوق الإنسان عامة و حقوق المرأة خاصة ، فالمرأة هي عصب الحياة و العنف المرتكب ضدها له تاريخ طويل للغاية و يعد أحد أكثر انتهاكات حقوق الإنسان انتشاراً و استمراراً.

كما نوه الإعلان العالمي لمناهضة كل أشكال العنف ضد المرأة الصادر عام 1993م بأن هذا العنف قد يرتكبه مهاجمون من كلا الجنسين أو أعضاء في الأسرة أو العائلة أو حتى الدولة ذاتها .

تعمل حكومات و منظمات حول العالم من أجل مكافحة العنف ضد المرأة و ذلك عبر مجموعة مختلفة من البرامج منها قرار أممي ينص على اتخاذ يوم /25/ نوفمبر من كل عام كيوم عالمي للقضاء على العنف ضد المرأة و تهدف إلى زيادة الوعي العام بتلك القضية .

- وبينت احصائية حديثة لمنظمة الصحة العالمية بأن ثلث إجمالي عدد النساء في العالم 30% من المرتبطات بعلاقة مع الشريك يتعرضن للعنف الجنسي أو الجسدي على يد أزواجهن .

- أما بالنسبة لوضع المرأة في سوريا التي تعاني من أزمة إنسانية وأمنية خانقة منذ أكثر من عقد من الزمن كونها منطقة صراع لعدة قوى على الأرض كانت المرأة فيها هدفاً في كل مرة بغاية كسر إرادة الشعب وتفكيكه من خلال تدمير الأسرة وتشثيتها وبالتالي تدمير المرأة نفسياً ، فالذعر والخوف المستمر من إمكانية تعرضها وأسررتها لخطر الهجوم والقتل والنزوح المتكرر والتهجير القسري والإتجار والاستغلال وحتى التعرض للعنف النفسي والجنسي والجسدي كان كافياً لتحطيم إرادة تلك المرأة رغم محاولاتها المستمرة بالتأقلم مع الواقع والنهوض من جديد إلا أن الاستهداف الممنهج للمرأة ككيان قادر على إدارة المجتمع والأسرة والدفاع عنه كان عائقاً كبيراً لإحداث تغيير ملموس في كافة المناطق السورية مع اختلاف النسب من منطقة لأخرى بحسب السياسة المتبعة في كل منطقة اتجهت المرأة والمناطق الأكثر تأثراً والتي تتبع العنف كسياسة ممنهجة بحق المرأة كانت في المناطق الواقعة تحت سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية داعش ومناطق الشمال السوري الواقعة تحت سيطرة الدولة التركية وفصائل الجيش الوطني السوري وغيرها من الفصائل المسلحة المسيطرة على المنطقة حيث سياسة تهمة المرأة وتجميد دورها في إدارة وبناء المجتمع واعتبارها ملكية يمكن التصرف بها بحسب الاحتياج وحتى الإتجار بها واستغلالها واعتبارها سلعة يمكن أن تُباع وتُشترى تحت مسمى الزواج وحتى البيع والشراء واستغلالها بالدعارة التي باتت تجارة رائجة ، كما أن استغلال المرأة كيد عاملة منتجة لساعات طويلة من العمل وفي أوقات غير مناسبة وبأجور بخسة ودون أي ضمانات صحية أو تأمينية وهو أمر منتشر في كامل مجال العمل في كافة المناطق السورية وبنسب قد تختلف من منطقة لأخرى .

ثانياً : تعريف العنف ضد المرأة :

يمكننا تعريف العنف ضد المرأة بأنه السلوك العنيف الذي يقوم على أساس التعصب للجنس ، أذ أنه يمارس ضد المرأة فيلحق الأذى النفسي و الجسدي و الجنسي بها .

ثم إن حرمان المرأة من حقوقها و التحكم فيها و تهديدها بأي طريقة كانت أفعال تعد من ممارسات العنف، فهو يعيق حريتها و يشكل عائقاً يقف في وجه حصولها على حقوقها المشروعة و البديهية .
فضلاً عن أن آثاره السلبية لا تقف عند المرأة فحسب بل تنعكس بشكل سلبي على المجتمع بأكمله بدءاً من الأسرة و العنف ضد المرأة ظاهرة عامة لا علاقة لها بمجتمع محدد أو ثقافة ما ولا ترتبط بطبقة اجتماعية بعينها .

أشكال العنف ضد المرأة :

1- **العنف الجنسي :** وذلك بمحاولة الاعتداء على جسد المرأة و محاولة لمسها و يقع ضمن هذا النوع / الاغتصاب/ وهو شائع خاصةً زمن النزاعات المسلحة حيث يستخدم كوسيلة ممنهجة للحرب وكسر إرادة الشعب.

2- **العنف الجسدي :** هو أكثر الأشكال وضوحاً و يشمل أي استخدام للقوة الجسدية ضد المرأة (كالركل و الصفع و الضرب بأدوات تسبب الأذى للجسد) وهو أيضاً منتشر في مناطق النزاع المسلح خاصةً في أماكن الاحتجاز وداخل مراكز الإيواء والمخيمات والأسر التي تعاني من مشاكل عائلية متسمة .

3- **العنف النفسي :** يرتبط هذا العنف بسابقه ، فالمرأة التي تتعرض لعنف جسدي ، ستنترك كل ضربة أو لكمة أثراً نفسياً كبيراً في نفسها و روحها ، و سيؤثر ما يحدث في كل نواحي حياتها و في شخصيتها ، فيقلل من إمكانياتها و يضعف ثقتها بنفسها و يسبب لها اكتئاباً و خوفاً و قلقاً ، علاوة على الأثر الذي ستركه في مستوى تقديرها لذاتها ، و عجزها عن السيطرة على الأمور من حولها وهو أسلوب متبع لكسر المرأة وفرض السيطرة عليها .

4- **العنف اللفظي :** كما يؤثر العنف الجسدي في نفسية المرأة ، فإن للعنف اللفظي الأثر الواضح و الأكبر في صحتها النفسية ، ومن أمثلة هذا النوع من العنف (الصراخ عليها في الأماكن العامة و استخدام عبارات و ألفاظ تقلل من شأنها و تحقرها أمام الناس) .

5- **العنف الاقتصادي :** يعود السبب في هذا العنف إلى عدم قدرة المرأة بحصولها على المال ، و بسبب تبعيتها المالية لزوجها فهي غير قادرة نتيجة لذلك على اتخاذ أي قرار مالي ، و لا حتى الإدلاء برأيها فيما يتعلق بالأمور المالية و ذلك على اعتبار أن الرجل هو من يقوم بتحصيلها أو في حال فقدان المعيل لها وتحملها أعباء تدير الأمور المالية

لنفسها ولأسرتها مما يضطرها لتحمل أعباء مضاعفة في إدارة أمور الأسرة وتأمين متطلباتها المادية مما يعرضها للاستغلال ويفرض عليها أعباء وضغوط نفسية كبيرة ويدفعها للقبول بعرض تنتهك حقوقها وتجعل تقبل بأعمال لم تعتد المرأة القيام بها وقد لا تتناسب مع قيمها حتى قدراتها .

6- **العنف القائم على النوع الاجتماعي** : أي فعل ضار يستهدف أفراد أو جماعات على أساس الجنس كالعنف الجنساني أو العنف المنزلي أو الاتجار بالبشر أو زواج القاصرات و الزواج المبكر و الخطف .

7- **العنف الجنسي في النزاع المسلح** : قصد به زمن الحرب (الاغتصاب – الخطف – التجنيد – الزواج القسري – الاستغلال الجنسي – تجارة الأعضاء) .

أسباب العنف ضد المرأة :

- **الأسباب الاجتماعية** : المشكلة الأساسية في تركيبة المجتمع و مجموعة من المعتقدات و العقائد التي اتفق عليها غالبية أفرادها، فالسلطة الذكورية و أفضلية الرجل على المرأة و حق الرجل في التحكم في تصرفات النساء و اختيار العنف ضدها كوسيلة لحل الخلافات و جميعها من المعايير السائدة في الكثير من المجتمعات .

بناءً على ذلك فإن للأعراف الاجتماعية دورها الواضح في تعزيز العنف ضد المرأة و تحويله إلى سلوك عام لا خجل منه ، لكن الشيء المحزن فعلاً أن تأثير هذه الأعراف لا تتوقف على عقول الرجال فقط بل يتعداه ليصل إلى عقول النساء و خاصة الزوجات اللواتي أصبحن يعتقدون أن تعرضهن للضرب و العقاب الجسدي و التعنيف اللفظي أمر طبيعي بل ويرويه حق من حقوق الرجل عليها ويجب أن تقبل به كوسيلة للتربية والتعامل وتمارسه بدورها وتفرضه على أسرته مقتنعة أنها وسيلة ناجحة لتحقيق الهدف التربوي .

و ضمن سياق الأمور أذ تسعى المرأة جاهدة إلى يومنا هذا لدفع الظلم و الاضطهاد من نفسها و تناضل و تكافح للتخلص من الذهنية الذكورية السلطوية و لكن مع وجود النزاعات والحروب فهي المتضرر الأكبر بسبب العنف و المآسي و الانتهاكات إضافة إلى الظروف الصعبة و الهجمات العسكرية بسبب معاناة التشرد و التهجير و الفقر .

- **الأسباب السياسية** : الدولة هي المسؤول الأول و الأخير في وجود حالات العنف بكثرة في مجتمعاتنا بسبب عدم جدية الدولة و التعامل مع قضية خطيرة و كبيرة مثل قضية العنف ضد المرأة فلا تصدر قوانين رادعة و لا تضع عقوبات صارمة لمن يقوم بهذا الفعل و في حال وجود مثل هذه القوانين لا نجد تطبيقاً فاعلاً لها .
فالدولة لا تأخذ موقفاً واضحاً ضد هذا العنف من خلال قوانينها و ممارستها تظهر و كأنها متسامحة و مبررة لما يحدث .

- الأسباب الاقتصادية : الخلل المادي الذي يواجهه الفرد أو الأسرة أو التضخم الاقتصادي الذي ينعكس على المستوى المعيشي لكل من الفرد أو الجماعة و من الصعب الحصول على لقمة العيش يجعل من الرجل عنيفاً ويفرض على المرأة القبول بالكثير من شروط العمل الصارمة المجحفة بحقها والتي تصل لحد الانتهاك لحقوقها الأساسية .

- الأسباب النفسية : ترجع الأسباب النفسية من الأساس الى التنشئة الاجتماعية منذ الطفولة فكثير من الدراسات تؤكد أن أغلب المجرمين العنيفين تعرضوا في طفولتهم لسوء التربية والعقاب الجسدي الشديد وقلة الاهتمام وغياب الرعاية ، أسس التربية العنيفة تنشأ وتولد لديه العنف إذ تجعله ضحية فتتشكل لديه شخصية ضعيفة وتائهة وغير واثق فالعنف يولد العنف كما يقول علماء النفس (العنف انتاج الغضب الذي يحدث بسبب اليأس والإحباط والخذلان الذي يواجهه الإنسان في حياته).

- الأسباب الشخصية : تضطر كثير من النساء إلى السكوت عن العنف الممارس ضدهن بدافع الخوف من الرجل أولاً في حين يكون سكوتها بالدرجة الثانية لأسباب مرتبطة بشكل مباشر بما سبق ذكره من أسباب كعدم وجود خاصية اجتماعية لها وعدم وجود تقبل أو دعم لها سواء من الأسرة نفسها أو حتى من المجتمع والسلطة الحاكمة .

آثار العنف ضد المرأة :

- الآثار الصحية : تصاب المرأة بالصداع أو أمراض عصبية أو اضطرابات هضمية نتيجة تعرضها للتعنيف علاوة على الإصابات التي قد تتعرض لها كالحروق و الجروح و الكسور و قد تسبب لديها تشوهات في بعض الأحيان .
- الآثار النفسية : كالاكتئاب و مشكلات النوم و صعوبات تقبل الطعام و في الحالات الشديدة قد تقدم المرأة على الانتحار لإنهاء عذابها .
- الآثار الاجتماعية : قد تصل المرأة بسبب العنف الذي تتعرض له إلى العزلة التي تبعتها عن الأنشطة و عن المشاركة فيها ، و تجعلها غير قادرة على العمل فتفقد فرحتها في تحصيل الاستقلال المادي.

ثالثاً : واقع المرأة في النزاع المسلح خاصةً في ظل وجود تنظيمات إرهابية استهدفت المرأة بشكل مباشر :

عانت المرأة السورية خلال تجربة النزاع المسلح السوري المستمر منذ عقد من الزمن من انتهاكات جسيمة في مجال حقوق الإنسان و قد تعرضن لأبشع أنواع الانتهاكات من قتل و إصابة و تعذيب و اعتقال تعسفي و اخفاء قسري و الاستهداف المباشر و الضغط النفسي الكبير نتيجة العنف الممارس بحقهن و بحق أسرهن و لا زلن يعانين من آثار هذا العنف الممنهج الممارس بحقهن قبل و أثناء و بعد الهروب من مناطق القتال .

ناهيك عن تجربة النزوح الرهيبة و فقدان الأمن و الاستقرار حيث تعرضن للتمييز القائم على النوع الاجتماعي و العنف الجنسي و الزواج القسري و الزواج المبكر و الحمل القسري و الاجهاض القسري و الاتجار و التعذيب و الاستعباد الجنسي ، لكن و رغم كل ذلك كان للمرأة دور في تحمل هذه الظروف و الكفاح من أجل البقاء رغم ما عانته نتيجة التمييز بحقها بسبب جنسها خاصة في المناطق التي ينتشر فيها فكر ايديولوجي ديني متطرف يفرض حياة قاسية و قيود كبيرة على المرأة و حياتها و هذا ما شهدناه في الشمال السوري خاصة في المناطق الواقعة تحت سيطرة الجيش التركي و فصائل المعارضة السورية المسلحة و المناطق التي تنشط فيها خلايا تنظيم الدولة الإسلامية المعروف ب(داعش) حيث كانت المرأة ضحية الفكر و التطرف وازداد بحقها الانتهاك من خطف و قتل و استعباد جنسي و لا زالت النساء الايزيديات وما عانينّ منه بسبب ممارسات التنظيم المذكورة أكبر دليل على سياسة الممنهجة المتبعة بحق المرأة و التي دفعت ثمناً باهضاً لصراع لم يكن لها أي دور في نشوبه و التي لا تزال نتائجه حاضرة حتي يومنا هذا رغم الجهود التي بذلت لمكافحة هذا الفكر و آثاره ، هنا نذكر جهود التحالف الدولي و قوات سوريا الديمقراطية في محاربة هذا التنظيم حيث تم تحرير /144/ امرأة ايزيدية داخل الأراضي السورية خلال عام 2019م بحسب احصائيات اوردها البيت الإيزيدي في القامشلي و تم توثيق تحرير /7/ نساء ايزيديات خلال عام 2020م وتم توثيق تحرير امرأتين ايزيديتين خلال عام 2021 تم توثيق تحرير /3/ نساء ايزيديات خلال عام 2022م .

- ونذكر الحالات الأربعة للنساء الإيزيديات التي تم تحريرهنّ :
- بتاريخ 2022/1/14 قامت قوات سوريا الديمقراطية بتحرير فتاة ايزيدية تبلغ من العمر /19/ عاماً كانت مخطوفة من قبل تنظيم الدولة الإسلامية داعش .
- بتاريخ 2022/8/26 قامت قوات سوريا الديمقراطية بالتعاون مع وحدات حماية المرأة بتحرير فتاة ايزيدية تبلغ من العمر /24/ عاماً كانت مخطوفة من قبل تنظيم الدولة الإسلامية داعش .
- بتاريخ 2022/10/1 قامت قوات سوريا الديمقراطية بتحرير فتاة ايزيدية تبلغ من العمر /24/ عاماً كانت مخطوفة من قبل تنظيم الدولة الإسلامية داعش .

- وفيما يلي نورد ملحق ثقافي بقلم **الكاتب جوان زكي سلو** يروي خلالها قصة الفتيات المذكورات لأعلاه **تحت عنوان** **تحت خط القهر** يروي فيها معاناة الفتيات الإيزيديات المحررات من برائن التنظيم وما مروا به من أهوال في رحلة الاستعباد حتى تم تحريرهن وعودتهن لذويهن .

ليلةٌ قلقٍ صيفية، كان السكون فيه عابراً للحدود، ستارٌ مخمليٌ مُسدلاً على الكون كله، جعل من السواد ثوباً لا أكمام له، وحده القمر من يملك المقدرة على الظهور، ليكسر العتمة التي ملأت أرواحنا بالنفور.

في تلك الليلة، كان القمر كقنديلٍ معلقٍ في قبة السماء، وحوله النجوم تتراقص، ولكنه قمرٌ شاحب، لا فائدة ترجى منه، فشعاعه الذي كان فيما مضى يضيء لنا سبيلنا بين بيوت القرية، بات الآن يزيد سُبُلنا ظلمةً، كأن ظلام النفوس قد امتصّ ضياءه، ورحل مبتعداً عنا إلى المجهول.

بدأت سيرة عذاباتي - أنا وضحة عرب شمو - ليلةً مددتُ لصغاري فراشهم على سطح منزلنا المتواضع في قرية (كر زيرك) بجانب فراشي، وزوجي يدخنُ سيجارته التي لفها، وألصق حوافها بلعابه، ووضعها بين شفثيه اللتين اختفيتا خلف شاربٍ أسود كالليل، وراح ينفث دخانه المعتق، حينها كنا نسمع أصوات الطلقات تتعالى هنا وهناك، آتيةً من جهة مدينة شنكال القريبة منا، وما حولها، وسط جبال سنجار الحدودية، وشفاهنا كانت قبل أن نغفو، تتلو بعض الأدعية التي من شأنها بثّ القليل من الطمأنينة في نفوسنا، بينما أحاديثنا تدور حول سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) على بعض القرى المجاورة لنا، بحجة مبايعة شيوخها العرب لهم، ورفع رايات دولتهم السوداء فوق بيوتهم، واستعدادهم لأمرٍ لا علم لنا به، وأنّ هذا التنظيم الإسلامي يرسل برجاله إلى القرى الإيزيدية، ليخبر أهلها "أنّهم بأمان"، وأن المواطنين الكرد الإيزيديين لن يتعرضوا للأذى، ما داموا يعلنون المبايعة لهم.

فتحتُ عينيّ بعد غفوة قصيرة لا أدري مقدارها، شاعرةً بهواءٍ ساخنٍ ثقيلٍ يعبر من خلالنا، ويثير الأدرينالين في عروقنا، استقيمتُ من فراشي، لأجد زوجي يسترق السمع لشيءٍ مبهم المعالم، لقد كان الخوف والترقب يعصف بنا، وي طرح بصمته المريب تساؤلات علينا، ما هي إلا لحظات، حتى سمعنا صوت طرقاتٍ صاحبةٍ على باب بيتنا الريفي، ذي الجدران الحجرية الوطيئة، ومن فوق السطح راح زوجي يستطلع برأسه الأشعث عن هذا الزائر الغريب، وإذا به يتراجع بسرعة للخلف، والصدمة بادية عليه، متلعثماً همس لي: إنهم الدواعش...

كأنني سقطتُ من قمة جبلٍ عالٍ، تحطمتُ فيها عظامي إثر السقوط، وتهشمتُ أضلعي التي تحوي بين طياتها قلبي المضطرب، واختفتُ النجوم الباهتة من السماء، فهناك شيءٌ مريبٌ وغريبٌ سيحدث قريباً، كدتُ فيها أصيح عليهم بأعلى صوتي في وجههم، من فرط الخوف والصدمة، إلا أن زوجي سبقني قبل أن أتهور فوضع يده على فمي، مانعاً إياي من الصراخ، وبعينيه

الجاحظتين حدّجني، مشيرا إلى صغارنا الذين ما يزالون غارقين في بحر من النوم الهائئ، فهمتُ منه أنّ علينا الهروب قبل أن يلقي هؤلاء الغرباء القبض علينا، لذلك وبسرعة أيقظت أبنائي، وحملت ابنتي الرضيعة على صدري، بينما حمل زوجي ابنتنا الآخر، وابنتاي الصغيرتان تمسكان بيد بعضهما بعضا، وتوجهنا إلى بيت جارنا الذي يتلاصق سطحه مع سطح بيتنا، ومنها نزلنا إلى الشارع الخلفي للمنزل، وأكملنا الطريق وسط الظلام، متستريين بالعتمة والسكون، حتى عبرنا بيوت القرية، وأصبحنا خارجها تماما، عندها بكت ابنتي الرضيعة فكسر صوتها سكون الليل، ورحنا ننوح كلنا على غدٍ مبهم المعالم.

ما إن شقشق الفجر بطيوره علينا، حتى وصلنا إلى قرية وردية القريبة من شنكال، وقتها كان الصباح يخبئ لنا مفاجأة كبيرة من العيار الثقيل، مفاجأة جعلتنا نتخبّط في مسيرنا خبط عشواء، كمن غاصت أقدامه في طين لزج لا خلاص منه، وباتت أعيننا تبحث عن قشة لتنمسكُ بها خوفا من الغرق، جلتُ بنظري في المكان الذي كان قد امتلأ فجأة برجال ملتحين وفوهات بنادقهم مصوبة نحونا، حينها تحلّق أولادي الصغار من حولي والذعر بادٍ على ملامحنا، وفاضت أرواحنا مع أعيننا بالدموع والصراخ، ومن هنا بدأت رحلتنا في العذاب.

كانت مدينة تل عفر من قضاء الموصل، والقريبة من الحدود السورية العراقية هي أولى وجهاتنا في رحلة الضياع هذه، فما إن ترجّلنا من الحافلات أمام مدرسة وسط المدينة، حتى استقبلتنا راياتهم السوداء بمزيد من الأسى، فبدأنا بالنواح وسط غناء حزين بصوت أمهاتنا اللواتي قد عشنَ هكذا ظروف فيما قبل، لتُذكرنا أغانيهنّ بتاريخ شعب عانى من أربع وسبعين مذبحه جرتُ بحقه، وما يزال هذا المسلسل المأساوي يستمر في عرض حلقاته المتكررة على شاشة الزمن العجيبة، ويروي أحداثا ستحدث قريبا، فكل شيء بات واضحا كالشمس.

غرفة صفيّة صغيرة كانت فيما قبل تحوي طلاب علم، لكنها الآن باتت تحتوينا كلنا بكل دموعنا ومخاوفنا، وعلى سبورتها الخضراء المتشققة كأرواحنا الممزقة ارتسمت قهقهات هؤلاء المجرمين، وسط عبارات التكفير التي كتبوها لنا، قبل أن ندخل الغرفة استعدادا لتحضيرنا للمجزرة، وفي هذا المكان الضيق اجتمعت نساء وأطفال عائلة زوجي كلهم وكنت معهن احتضن صغاري الباكيين، بينما الرجال في ركنها يفكرون في مستقبل غامض جدا.

ساعات مضت ونحن في تلك الغرفة المختنقة بلهائنا وحسراتنا الملتهبة، نحتسي من فنجان القهر مرارة الحياة كلها دون ارتواء، نشعر بالعطش يأكل من حناجرنا الجافة، ويلتهم من رثائنا الأوكسجين المتبقي في صدورنا، كالصبار، حتى فتح أحد عناصرهم المسلحين الباب علينا، وأخرجوا الرجال كلهم من الغرفة، وتركونا ننتحب عليهم بعويل مضطرب، تصاعدتُ آهات من خلف الجدران وصلتنا شذرات منها، فأصبحنا نلطم وجوهنا رغما عنا، وإذا برجالنا يدخلون الغرفة إلا واحدا، ووجوههم مكفهرة من الغيظ والقهر، ركضتُ نحو زوجي الذي ما إن لمحني حتى مسكُ بكلتا يديه وجهي المتكدر، وكأنه يراني لأول مرة، وقال:

- أخبرونا أن نُشهر إسلامنا حتى يدعوننا نعيش بسلام، وإلا فإن الموت من مصيرنا.

أجبتة وقد غلب عليّ الحزن الذي بانَتْ ملامحه تحت عينيّ السوداوين: إن كان إسلامهم يحمي عائلتنا من الموت، فليكن ذلك، ولكنهم لن يستطيعوا محو ما في نفوسنا من إيمان وسلام، وقلوبنا لن تركع إلا لقبلتنا في شنكال، ووجوهنا التي ستختفي خلف برقعهم الأسود لن تمنعنا من رؤية الشمس.

أخرجونا بقوة السلاح من الغرف، وجمعونا في ساحة المدرسة، وفصلوا النساء عن الرجال، وتقدمتْ نحونا نسوة متشحات بالسواد، علمتْنا كيف ننطق الشهادة، وكذلك زوجي الذي لمحتَه يرتشف بعض الماء ويمسح ببعض منه على يديه وعلى وجهه، كأنه يتوضأ، كانت تلتقط القطرات المتساقطة ليست إلا عنوانا لسقوط الأمل في قاع الظلام، قتيلا بلا شهادة.

في تلك الليلة جفنا النوم وابتعد بأميال عنا، رغم المعاناة الي عانيناها، ورغم القهر الذي عشناها، ولكننا على الأقل بقينا معا، ولم يأخذوا زوجي بعيدا عنا، كما فعلوا مع غيرنا، فقد فرقوا بين العائلات، وعمدوا إلى قتل من كان يرفض أمرهم، وكان أخو زوجي هو أول الضحايا الذي تلقى الموت على يديهم حين رفض إشهار إسلامهم، فأردوه قتيلا أمام أعين إخوانه ورجال القرية، وكانت زوجته تنتحب عليه منذ ذلك الصباح.

حافلات بلا نوافذ، كانت تنتظرنا لتبلعنا في بطنها الأجوف، وتحصر أجسادنا الهزيلة بين مقاعدها الخشبية، استعدادا لنقلنا إلى قرية كسر المحراب، تلك القرية التابعة لقضاء الموصل والتي تجمّلتْ بالسواد كقلوب ساكنيها، ورفعت رايات كتبت اسم الله عليها دونما خجل، وهم يمارسون باسم الله أبشع الجرائم.

لا أدري كيف ستزهر الحياة وسط الموت؟ لا أعلم كيف للشمس أن تشرق وسط الظلام؟ وتنتشر أشعة الحرية في أرواحنا؟ ونحن نجد أن كل من سكن هذه القرية الوادعة فيما مضى قد تحول إلى وحش بألف رأس، وأن القرية تلتقم بين أسنانها الكثيرين منا؟ ضحايا سياسة عمياء، كنا نحن ضحاياها الذين وجب علينا أن نستقبل دينهم المسلح بصدور رحبة؟ كيف لهذه الأرض الطيبة أن تتجمل بدماء الأبرياء والأطفال؟ نعم كانوا هناك ينتظروننا أمام مركز البلدية، مثلنا كمثل الكثيرين الذين كانوا بلا متاع، نحمل همومنا على أكتافنا، فما حاجتنا للثياب؟ مادام ثوبنا الموحد هو الأسود؟ وذلك البرقع الذي يغطي وجهي قد جعل كل شيء من حولي بلا ملامح، وفور نزولنا من الحافلات، قاموا بتوجيهنا نحو إحدى غرفها كي يقوموا بتسجيل أسماءنا وعدد أفراد عائلتنا، حينها تقلصت معدتي وشعرت بقلب من الثلج يهوي ليستقر داخل كياني، وأنا أتقدم إلى داخل تلك الغرفة مع عائلتي الصغيرة، لأجد المكان يختنق بلهات رجال لا يعرفون الرحمة، ترسم على وجوههم ابتسامات خبيثة، ونظرات شهوانية تلتحق بنا، ولا تفرق بين صغيرة وكبيرة، مدّ أحدهم بيده نحوي، ليتحسس جسدي أمام زوجي، فرفع زوجي يده عليه وأراد منعه، لكنه تعرض حينها لضربة من أخمص بندقية رجل آخر أسقطته أرضا، وسالت الدماء من وجهه، ارتميتُ عليه وأنا أصرخ وأطفالي يبكون،

متوسلة إياهم أن يتركونا وشأننا، لكن هل لهؤلاء الرجال قلوب تشعر؟ هنا صرخوا بنا وأشهبوا أسلحتهم في وجوهنا، وأجبرونا أن نقف في ركن الغرفة لساعات طويلة، ونحن نرى ونسمع الأهوال التي تشيب لها الرؤوس.

كانوا يقومون بتفريق العائلات عن بعضها، ويجمعون النساء والفتيات في غرف خاصة، في رغبة جامحة لأجسادهن الغضة، ونظرات الشهوة تتقطر من أعينهم، فتثور في قلوبهم براكين الشهوة نحوهن، كنا نسمع صرخاتهن تعلو للسماء، حتى إنهن كنّ يتعرضن للضرب، متمنين الموت ألف مرة قبل أن يدنس أبدانهن أيادي المجرمين.

مالت الشمس للغروب ونحن كنا ما نزال في ساحة البلدية، ننتظر ترحيلنا إلى مزرعة قريبة من القرية والتي كانت لإحدى أمرائهم، كي نعمل فيها كعبيد بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لقد كانت المزرعة كبيرة تحتوي على عدة مخازن كبيرة، أخذوا زوجي إلى حظيرة الجواميس، لم أكن أراه سوى ليلة في الأسبوع، بينما كانت وظيفتي كخادمة في منزل هذا الأمير الذي تعددت جاريه وسباياه، لقد كان الجمال السمة التي تجمع بين هؤلاء السبايا، حتى تحول الجمال وبالأعلى علينا، حتى إنهن كنّ يجمعن في غرف القصر ليتم بيعهن جمعا أو فرادى لكل من يدفع أكثر، لقد كان قصره هذا سوقا للنخاسة، يتاجر ببنات شنكال كما يشاء.

لا شيء يستطيع تحطيمك من الخارج، لكن يبدأ انهيارك عندما تستسلم روحك وترفع راية الإذعان، حينها مهما كانت حصونك قوية، فسوف تنهار لأنها لم تجد ما تستند عليه.

في إحدى الليالي الباردة حين كنت أحتضن أطفالي في غرفة بجانب إحدى مخازن الأمير التي كانت مخزنا للمسروقات التي سرقها رجاله من قرى الإيزيديين وراح يبيعهما كما يريد، سمعت خطوات وثيدة، نظرت من خلال زجاج نافذتي التي تشبهني في انكسار روحها؛ وتكاد أن تتحطم بفعل الريح، خطوات تعرت من الخوف واكتست دجى الليل، تخطو نحوى، إلى مجهول لن يكون أشد بشاعة مما كانت فيه ولو كان بين ذراعي الموت، وتلك الريح الصرّ قد أصاب جذع روحها فنخرته وذرت، كانت تترنح حافية القدمين، بأنفاس تحتضر، ووجه دام يختصر معاناة لم تخطر على بال بشرٍ، وقد ابتلعت إحدى قدميها حفرة لوت كاحلها فكادت أن تكسره، كانت تصرخ ألما رغم أنه لا يوجد موضع إلا وقد وُشم بالألم، وقبل أن تسلم نفسها للأرض، احتضنتها بصدر يكاد يتوقف نبض الحياة فيه، وألقيت ذراعي أمامها وهي تنادي قائلة: يا طاووس ملك.

جسد صغير غشاها السواد، ويدان قد ظهر لحمهما المتقيح تحت جلد قد نزع عنهما، لا يستطيع أن يتبين معالم الوجه جيدا من التورمات والكدمات التي تغطيها، إنها فتاة تلتحف عباءة سوداء قد مزقت فتظهر أكثر مما تخفي وبصوت مبوح ودموع متساقطة تقول: أرجوكم ساعدوني، أنقذوني!!

كانت ملابسها مدنسة بالوحل الذي يتساقط ليصنع بقعا تحت قدميها الحافيتين قد ظهر فوق عرقوبيها آثار قيد قد ترك علامة دامية مازالت التساؤلات المتوجسة تحفر عقل كل منهما بمعول متثلماً، وكأنها فرّت من بين براثن كلب متوحش أو ذئب، وهذا الماء اللزج المحمل بالوحل لا أدري هل وقعت تلك الفتاة في بركة ماء، أم أنها قد بالت على نفسها؟!

انسحبت من بين يدي وراحت تضع يديها الصغيرتين بمقربة من فمها، وتضم ذراعيها وفخذيها لبعضهما فتتكور كقطعة قد أصابها برد الشتاء، وبعيون تكاد تكون مطموسة من انتفاخ أجفانها تنظر إلى قطعة الخبز بيد الطفل الصغير.

انحنيت لأحيط جذعها بإحدى ذراعي، بينما بالآخر رفعتها عن الأرض وأقول لها: تعالي لأنظفك أولاً ثم أجهز لك طعاماً.

تحاول أن تقف بصعوبة ثم تضع يدها حول عنقي وتستند علي لتمشي معي ثم أخذتها إلى الحمام.

أردتُ صنوبر المياه الساخنة، ورحتُ أمسدُ بيدي على وجهها، وشعرها المصبوغ بالطين والدماء التي كانت متخثرة على جسدها، رحتُ أزيل هذه الأسمال المتسخة عنها، ليظهر جسد لطفلة لم تتعد الرابعة عشرة، بشعر فاحم قد نزع منه مناطق فصارت فارغة، وحاجبين قد أزيل شعرهما وتلك الشفاه المرتعشة التي تيبّستُ جروحها فبدت كصحراء عطشى.

تنحني الفتاة لتستر نفسها بذراعيها، ويديها فتندفع كتلة من الدماء تلوث فخذيها، فتراجعت لحظة لتنزلق الدماء على أرضية، نظفتها بفقطة ناعمة وجهها، لتأن الفتاة من تلك الكدمات الزرقاء والبنفسجية على وجنتيها وآثار الاعتداء الوحشي على كل جسدها.

دموع ساخنة ذرفت على جسدها الغض الذي رأى الويل وتغصن بالدم حتى الوجع.

انتهيت من تنظيفها وألبستها بعضاً من ملابسني ثم مشطت الجزء الباقي من شعرها الذي اجتث معظمه ليترك أجزاء من رأسها كأرض بور.

ألبستها غطاءً للشعر، بدت الفتاة جميلة تحت هذا العوار الذي أصاب وجهها وجسدها.

بدأ رأسها يتناقل مع الدفء والإحساس بالأمان المزيف الذي أعيشه أنا، أردت أن أحملها فصرخت من آلام جسدها المنتهك، ونامت في مكانها، فدثرتُها بلحاف أزرق اللون، وتركتها تهنأ قليلاً بالراحة.

في الصباح بينما كنت في خدمة المنزل والأمير، وكان زوجي في الحظيرة، فتحت هذه الغريبة عينيها لتسترق السمع لصوتي وأنا أتحدث بلغتي الكردية مع ابنتي طالبة منها أن تهتم بأختها الصغيرة، وإذا بهذه الفتاة تنطق ببعض الكلمات بعد أن اطمأنت وقالت منتهدة من بين الدموع: منذ الليلة الأولى وأنا أقسم بطاووس الملك أن أقتل من استطعت منهم، أتعرفون معني أن تنتهك

كلّك، كرامتك وإنسانيتك، جسدك، أن تصير وعاء يتفل فيه هؤلاء الذين يرفعون المصحف بأيديهم، وليس في قلوبهم منه ذكر، الذين يركعون ويجسدون جسدا وأرواحهم نجسة، يقولون: إنني كافرة. نعم أنا كافرة بهم وبما يدعون، وبكل عهدٍ يقطعونه، وبكل حرف ينطقون، كافرة بأسبابهم للقتل وانتهاكهم للعرض، واعتدائهم على غيرهم بالغبن والقهر، باعونا إماء، لا فرق بين جميلة وقبيحة، الكل مطلوب وكلهن يبعن، ولا فرق إلا في السعر، كلما زاد الجمال زاد السعر، وكذلك كلما كانت صغيرة وفتية، زاد عليها الطلب.

نقف في صفوف مقيدات الأيدي والأقدام، ومن يقع عليها مزاد البيع تساق كالبهائم مع من اشتراها، والباقيات يتركن ليتسلى بهن العناصر.

اشتراني رجل سعودي، وقد باعوني على أنني عذراء، لم يكن يعلم أن الدواش لم يتركوني إلا بعد أن أصبت بالإغماء، قاومت كثيرا حتى خارت قواي واستسلمت بعد أن فقدت الكثير من الدماء جراء الاعتداء، علمت بعدها من البنات اللاتي كنّ معي، أنني قد تم جري كالشاة، وقامت إحدى النساء بإهراق الماء عليّ، وعندما استفتقت أمرتني أن أغتسل وفي الصباح الباكر أخذوني لأباع في السوق، وعندما اشتراني السعودي قال لي: سأنزوجك ولكن اتركي دينك، واشهدي أن لا إله إلا الله، كان رجلا كبيرا، ويبدو عليه الوقار والعظمة، نظرت إلى البيت من حولي وإلى تلك الحجرة ذات الدثر فوافقت، ولكن منذ لحظاته الأولى معي تبدّل حال الرجل، فأراد أن يمارس معي أفعالا شاذة، خمشت وجهه ودفعته بعيدا فارتطم رأسه بالحائط، فما كان منه إلا أن نادى زوجته فقيدوني بعد أن انهالوا عليّ ضربا، وأوثقوا يدي وقدمي وتركوني له ومضوا...

أيام تمر لا أدري عددها، ولا يفك وثاقي إلا كي أذهب لقضاء حاجتي أو تأخذني نساؤه لتغسيلي قبل مجيئه.

مرت ثلاثة شهور كان يريدني أن أحمل له طفلا، ولما بيئس مني، باعني في السوق مرة أخرى، لأعود إلى الجحيم، ولكن لم أعد تلك التي اجتثوها من فوق أغصان البراءة.

كانت روحي تغلي كمرجل وعيناوي ترصدان كل شيء، لم أظل طويلا فقد بيع جسدي لأحدهم بثمن بخس. مضت أيام وذات ليلة حيث كان بضيافة من يدعي -أنه زوجي - ثلاثة عناصر- من تنظيم "داعش" قدمت لهم مشروب الشاي المعكّر بغضبي، كنت قبل ذلك قد قمت بسرقة بعض أقراص مخدرة من جيبه، كان يستخدمها لتخديري فكما، أتعرفون في أحد الأيام استفتقت من نومي، وقد تمزقت ملابسني وأعضائي حتى أنني لم أكن أقوى على الحركة، في هذا اليوم قررت أن أقتله، بعد أن استيقظت وأنا ملقاة في ركن الغرفة وأشم رائحة نفاذة على جسدي وملابسي، لم أصدق أن يكون قد فعلها، ولكنهم هكذا يبصقون في الصحن الذي يأكلون فيه، قالها لي وهو يضحك: إنك لست سوى وعاء للقذارة.

صرخت وبكيت كالمهووسة، فما كان منه إلا أن أحضر دلواً مليئاً بالماء، وسكبه فوقي.

حينها أقسمت ألا أتحمل قذارته مرة أخرى، كنت قد أخذت من جيبه الأقراص فسحقتها، وأذبتها في مشروب الشاي حتى غطوا في نوم عميق، لم يستفيقوا على ركلاتي لهم للتأكد من غفوتهم.

فرغتُ جام غضبي فيهم، كنت أمزق وجوههم بأظفاري، انتقاماً لكل فتاة قد دنسوا عذريتها، وانتهكوا شرع الحياة فيها.

وبينما أكتم صرخاتي، خوفاً من أن يحيط أحد بما أفعله خيراً، كنت قد دسست الموس الخاص به فقامت بتقطيع عروق معاصمهم لينزفوا حتى آخر قطرة من دمائهم، وهم نائمون.

ومضيت مستترة بغطاء الليل بعد أن عبرت فوق أجسادهم إلى أن وصلت إلى هنا بعد رحلة مليئة بالرعب والخوف والعنف.

توقفتُ الفتاة عند هذه الكلمات، وقد اشتركن بالبكاء معاً، حضنتها، وأخبرتها أنها ستكون كأختي، وسأحميها مهما حصل، كل ما عليها أن تبقى في الغرفة، ولا تخرج أبداً، وإن حصل شيء وتعرّفَ عليها أحد، فستكون من سبايا الأمير، والأمير له سطوة على جميع رجاله، لذلك لن يستطيع أحد أن يؤذي.

مضت شهور ستة ونحن ما نزال في المزرعة المشؤومة حتى حصل ما كنا نخافه، فقد اشتدت المعارك بين الجيش العراقي وعناصر داعش حتى قرر الأمير ترحيلنا كلنا إلى تل عفر، حفاظاً على روحه وممتلكاته، وكنا طبعاً من ضمنها.

عدنا مرة أخرى إلى تل عفر لأودع زوجي عند باب المدرسة التي تحولت إلى مركز اعتقال، ليأخذوه بعيداً عني، ولم أره مرة أخرى، وأيضاً تلك الفتاة الإيزيدية التي اختفت هي أيضاً بين جموع السبايا، كان يومنا ككابوس لم ينته بعد.

عشرون يوماً كانت هي المدة التي قضيتها في الموصل، كي أعلم وقتها بمقتل زوجي على أيدي المجرمين، لأنتخب، وألطم وجهي؛ في محاولة بائسة للخلاص من جحيم الأيام، وسط تكبيرات كنت أسمعها بين الفينة والأخرى، فتصيبني حالة اشمئزاز من بشرٍ لا يستحقون صفة الإنسانية، بعدها أخذوني وأولادي إلى حيّ الخضراء لأسكن فيها مع عدد كبير من السبايا وعائلات فقدتُ معيها ورجالها، يجمعنا الحزن والدموع، وزادنا الألم، وضيقتنا الأرق، تعصف بنا الهواجس اليائسة لنقول في كل لحظة: متى سنموت؟

كانت صباحاتنا كئيبة جداً، حتى أن الشمس كانت تشيح بوجهها عنا، كي لا نلمح الحزن من خلال أشعتها المريضة، لنستيقظ على صوت نساء داعشيات متشحات بالسواد، مسلحات ببنادق، وقد حزننَ حول خصورهن أحزمة ناسفة لتزرعن الخوف في قلوبنا، وهن يصرخن بنا، استعداداً لأخذنا إلى سوق الموصل للنخاسة، ليتم بيعنا لمن يدفع أكثر.

جعلوني أفق في صفوف مع الكثير من بنات شعبي ونسائه البائسات، ويتقدم صوبنا شخص قبيح المنظر، مشيراً لرجالنا نحوي، ليقتادوني مع عدد من الفتيات إلى حافلة أخذتنا إلى مدينة الرقة السورية، المدينة التي تترعب على نحر الفرات بأشجارها وقصورها التي علت عليها الرايات السوداء، وصلنا حينها إلى إحدى قصورها المسورة ولكنها كانت بلا أثاث، فقط غرف فارغة ملاءة بالسبايا أمثالي، أكثر من خمسمئة امرأة وطفل، كنا كلوحات مرسومة بالألم، ملونة بالوجع الأسود، عيوننا تتقطر بالحزن الممزوج بالحنين لمن رحلوا بلا وداع، لنعيش معاً مدة شهر كامل في هذا القصر الذي تتلاعب به عواصف الصحراء من كل صوب، نقتات من الآمنا المختلطة بدموعنا وآهاتنا.

كانت تنام إلى جانبي الأيمن فتاة اسمها سوسن، يبدو عليها التعب والإرهاق الدائم، وهالة سوداء تحيط بعينيها من الأسى، كانت تتحدث بلا توقف عن أهلها، أخبرتني بقصتها وهي تبكي وتتحدث، ليتبلل حديثها بالدموع، لم يكن بيننا أسرار، فقد كانت تأمل إذا ما رأيت أحداً من أهلها، حتى أخبرهم عنها. قالت لي: إن اسمها سوسن حسن حيدر، وتبلغ عشرين عاماً، ومن مدينة سنجار، فعندما دخل المدينة عناصر مسلحة من تنظيم داعش في الثالث من آب من عام ألفان وأربعة عشر، تم اختطافها مع والدتها ساجدة وزوجة عمها وأخواتها والكثير من الفتيات والأطفال، ونقلهم إلى بلدة تلعفر وتم احتجازهم في مدرسة البلدة، بعد أن تم فصل الرجال عن النساء، من بينهم أبيها وشقيقها وأعمامها الثلاثة، فانقطعت أخبارهم عنها بشكل نهائي.

أخذت نفساً عميقاً وأكملت بعد توقف: لقد تم تفريق الفتيات عن بعضهن بعضاً، فنقلوها إلى مدينة الأنبار العراقية، وبقيت هناك مدة عام، ومن ثم انتقلت إلى مدينة الهيت في حي بكر، وبعد أقل من شهر، نقلوها إلى بلدة بو عساف، ومع اقتراب الجيش العراقي من أماكن تواجد عناصر داعش هناك، انتقلت معهم إلى الموصل ومنها إلى الرقة، وها هي هنا تنتظر من يشتريها سبية، ويتزوجها بتكبيره واحدة.

وكان أول من اشتراها في اليوم التالي، رجل اسمه أبو محمد العراقي، ويبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً. سافرت سوسن مع أبي محمد هذا الجهادي، وانقطعت أخبارها عني.

وعلى يساري كانت هناك امرأة تدعى نعام حسن، تهذي كل ساعة باسم أولادها الثلاث، جمال، جيان، وما إن تذكر اسم ابنتها جاني، حتى تبكي بمرارة، تندب حظها وحظ أولادها في هذه المأساة والمجزرة، وكأنها على موعد مع إحدى الفرمانات السابقة التي تعرض لها شعبها الإيزيدي، وبعد أن هدأ بركان قلبها عن الثوران، حدثتني عنهم، قالت إنها من قرية صولاخ التابعة لمنطقة سنجار، وقد تم اختطاف عائلتها المكونة من زوجها زياد وأبنائها جمال من مواليد 2005، وجيان من مواليد 2013، وجاني من مواليد 2009.

كان يوماً مشؤوماً، ذلك اليوم الذي نقلوهم كلهم بشاحنة كبيرة إلى الموصل، ومنها إلى قاعة كلاسة، وظلوا هناك مدة عشرين يوماً، ومن ثم نقلوهم إلى سوريا، إلى مدينة تل رفعت القريبة من حلب، وهناك تم فصلها عن أولادها، فهي لا تعلم شيئاً عنهم، من ثم جلبوها إلى الرقة.

كانت تنتظر الفرّج، تأمل في أن تلتقي بأبنائها الثلاثة، لقد ظلت تبكي ليل نهار حتى استيقظنا فلم نجدها، لقد تم تزويجها من رجل اسمه أبو مقاتل وعمره لا يقل عن الخمسين، من أصل هندي، وعدها أنه سيعتق رقيبتها إذا ما تعلمت الصلاة والصوم وقراءة القرآن.

اختفت نعام كما ظهرت ذات ليلة، فلم نعد نراها، وفقدنا أخبارها، وظلت سيرة مأساتها جزءاً من قصص المآسي الكثيرة للإيزيديات، ضحايا الجشع الذكوري الإسلامي.

ظلّ كلام نعام يجول في ذاكرتي لأيام كثيرة، حتى أتت دفعة جديدة من السبايا، قادمة من جهة تل رفعت، وما إن عرفت أن السبايا قدمن من تلك البلاد القصية، حتى بدأت بالسؤال عن فتاة اسمها جاني ابنه نعام، فأخبرتني سيدة ما بين الثلاثين والأربعين من عمرها، أنها سمعت بهذا الاسم، (جاني) طفلة تبلغ من العمر سبع سنوات، فأومأت برأسي لها، قالت لي أيضاً أن في رأسها إصابة بفعل سقوط الزجاج على رأسها، فوافقت على رأيها، توكيدا مني على كلام والدتها الحزينة، وكلي فرح بسماع أخبارها، ثم أكملت لي السيدة عن حياة جاني، فبعد أن تم تفريقها عن أمها وأختها في تل رفعت، زوّجها من رجل مدة خمسة أيام، والذي قُتل في قصف جوي على مدينة الباب السورية، وبعدها انتقلت لتعيش تحت كنف رجل آخر يدعى أبو البراء والذي هرب إلى تركيا بعد عشرة أيام فقط من زواجها منه، ومن ثم زوجها إلى شخص اسمه أبو الحمام وذهبت معه إلى الميادين، والذي قُتل أيضاً فيها، ومن ثم عادت مع رجل اسمه أبو السراب إلى شرق حلب، وفي تلك المنطقة قام أبو السراب بتطليقها وأرسالها إلى الباغوز، فانقطعت أخبار جاني عن تلك السيدة الأربعينية.

كم تمنيت أن أرى نعام، فأخبرها عن ابنتها جاني، ولكن كيف السبيل؟ فما يزال الجرح غائراً. مدة طويلة عشناها نراقب فيها الشمس وهي تذوي بأرواحنا نحو الغروب، خلف أرض بلا ملامح، حتى استيقظنا ذات يوم على صوت حافلات رمادية اللون، وقد علا فوقها الغبار، كأنها خرجت من معركة غابرة في القدم، محطمة ومدمرة، وعجلاتها المهترئة بفعل ثقل همومنا، تتمايل على تلك الطرقات الإسفلتية بصعوبة بالغة، وصلت بنا إلى مدينة الميادين السورية، فاستقبلنا والي المدينة بترحاب مهين جداً، أذلونا، عاقبونا لأننا كما يزعمون لا يحق لنا العيش بكرامة، وأمرنا بالتوجه إلى صالات عرض بشرية، ليتم عرضنا للمزاد العلني أمام حشد كبير من مغتصبي النساء، كمصاصي دماء بشرية، تتقطر من شفاههم الملوثة دماء بناتنا الأبرياء.

وقتها وفي غمرة نسيان أمري من بين جموع الأمراء، وجدني شخص اسمه أبو عبيدة المصري، فاشتراني بكل ما لدي من أطفال وأوجاع وهموم، وسار بنا إلى بيته المنيف، لتستقبلنا زوجته بالضرب والإهانات التي تتندى لها جبين البشرية، كان التعذيب السمة المشتركة التي تجمع هذين الزوجين بنا، فبعد أن يتمتع الزوج بجسدي في غرفة صغيرة، يتركني لزوجته التي تنهال عليّ ضرباً بعضا الخيزران الطويلة، لتشتمني بأقذر الكلمات، بينما أولاي في الغرفة الأخرى يبكون بشدة، حتى أفقد الوعي تماما، وأسقط كسقوط السماء على أرض الألم.

خصلات من شعاع الشمس هربت من تحت حجاب ابنتي، بينما كانت تساعدني في مطبخ ذلك القصر، وبيدها ممسحة مبللة، نظرتُ إليها متحسرة على طفولتها التي ضاعت بين ثنايا هذا الزمن المرّ، لتتركها بلا مستقبل، في تلك اللحظة دخل الأمير علينا ليتفاجأ بجمال تلك الخصلات، حينها أحسست بشيء مريب قد يحدث إذا لم أعد تلك الشذرات إلى مكانها تحت الحجاب، لكن يد الأمير سبقتني إليها لينزع عنها حجابها، فيمسدها بيده وقد لعت عيناه بشهوة جنونية، حاولتُ ابنتي أن تفلت منه وتعود إليّ، لكنه مسكها من ذراعها، وراح يتحسس جسدها الغضّ كأنه يبحث عن جمال مختبئ خلف الثياب، حينها ركضتُ نحوهما، عليّ أسحبها من تحت أصابعه النجسة، لكنه رمقني بعينييه الشرهتين، وقد تطايرت الكلمات من بين شفتيه، مهددا إياي من الاقتراب منهما، وقال:

– حبات العنب هذه قد أينعت وحن قطافها وتزويجها. كان كفلاحٍ يملك عين بصيرة، يعرف متى تثمر فاكهته، ومتى يقطفها. ارتميتُ تحت قدميه أقبلهما، متوسلة إياه أن يتركها، فهي ما تزال صغيرة، لا تفقه شيئا عن أمور الزواج، قلت له أنها كحصرم، ولن يقدر أحد على التهامها، والتلذذ بطعمها.

لكنه ركمني في وجهي لأسقط أرضا والدماء تتمخط من أنفي، لتمتزج مع دموعي، وأعود مرة أخرى إلى يديه أقبلها في رجاء وتوسل، لكنه كمن عثر على كنز كبير، لا ولن يسمح لأحد أن يأخذه منه، حينها أخذ ابنتي ذات التسع سنوات بعيدة عني، وكانت تلك آخر مرة أرى فيها ابنتي، فقد تمّ بيعها وتزويجها كجارية.

مرّت الأيام تتابع عليّ مريرة، كعربة بعجلات حديدية، تمزق روحي قبل جسدي تحت عجالاتها الصدئة، فتجعله ممرّغاً بالتراب والحصى، كل ما أفكر به هو مصير أختها الأخرى، فهل سيكون حالها كحال أختها حين تبلغ التاسعة بعد أشهر، وهكذا بقيت كل ليلة أحاول أن النوم ولكنه لم يكن يزورني أبدا حتى نسيته، وباتت الراحة والهناء شيء بعيد المنال، لذلك كنت قد عزمت الأمر على أن أقصّ شعر ابنتي بيدي، وألا أسمح للأمير الداعشي وزوجته الشمطاء أن يراها بشعرها الطويل، وذات ليلة بينما كانت نائمة في حضني كملاك، مددت يدي إلى مقص الحلاقة، ورحتُ أجزّ ذلك الشعر الأشقر، كمن يحصد سنابل

القمح بيديه وهو يضحك، لكنني كنت أبكي بأعين جافة، فالدموع منذ أن رحلت ابنتي الكبيرة لم يعد لها وجود، وجفت منابعها من روعي العطشى.

ولكن الحذر لا يحمي من القدر، فذات صباح ماطر بينما كنت مشغولة بأمر تنظيف البيت، وكانت ابنتي ترعى إخوانها الصغار، وتمنعهم من الخروج من الغرفة، لتناديني زوجة الأمير لأقضي لها أمر ما، ولأنني كنت مشغولة فقد بعثت ابنتي إليها لتساعدنا، بعدها تخرج السيدة لتناديني وتقول:

منذ متى وأنت تخبئين مثل هذه الجوهرة في غرفتك، وتمنعين زوجي من الاستفادة منها؟

هل يجوز ذلك؟ وأنت تعيشين في منزلنا؟ أنت لست إلا جارية، وبناتك ملك لنا، نصنع بهن ما نشاء.

لطمت وجهي ورحت أندب حظ ابنتي التي ستلاقي مصير أختها التي سبقتها بعام، هنا أيضا لم أتمالك نفسي، بكيت كثيرا، وبمرارة، توسلت السيدة أن تعفي عن ابنتي من الزواج، فهي ماتزال صغيرة، ولا تفقه شيئا من أمور الزواج، لكنها، ورغم توسلي ورجائي لم تهدأ، حتى أبلغت الأمير بأمرى، فعاقبنى أشد العقاب، وأخذ مني ابنتي التي كانت تتمسك بتلابيب فستاني المتسخ، وأنا لا حول لي ولا قوة، ودعتها بلا دموع هذه المرة، لأنني ميتة، والميت لا يبكي...

سنتان مريرتان كالعلقم بل أشد مرارة، شعرت بأن السماء قد صبّت جام بؤسها عليّ، ومرغ جسدي في وحل مستنقع من اليأس والشقاء، فزوجي قُتل، وابنتاي الصغيرتان تم بيعهما وتزويجهما، وأنا بين كل هذه المآسي كالتائهة، أسير في وادي عميق مظلم بلا مخرج، تحيط بي جبال من الهموم، وأتساءل متى يحين موعد شروق الشمس.

لا أدري أنا خادمة أو جارية أو زوجة؟ أم.. أم تُكلى فقدت كل آمالها مع فقدان عائلتها أمام أعينها، ها أنا جسد بلا روح، أمشي في أرجاء البيت المنيف، وأتنقل بين غرفها الكثيرة، وكأنني أبحث عن طيف ابنتي اللتين خطفهما مني القدر، فلا أجدهما بأيدي الأمير وزوجته الظالمة، لذلك لم يعد الأمير يثق بقدراتي العقلية، كأنني بت مجنونة، أهذي وأنا أسير بلا وعي، حينها وبعد مرور العام الثالث من الفاجعة، قرر بيعي لرجل سعودي اشتراني بثمن بخس، كوني بلا عقل، ولكنه ترك ابنتي الأخرى عنده، والتي بلغت الثامنة هي أيضا، ليبيعهما فيما بعد، حزمت حقيبتي وجلست في المقعد الخلفي لسيارة زوجي الجديد، الذي اشتراني مع ولدي الآخرين، وسار بنا إلى بيته، بينما تلوح ابنتي بيديها مودعة إياي بعينين دامعتين، وسط ركام أرواحنا المتهدمة.

ما إن دخلت بيت زوجي، الذي وبتكبيرة واحدة أصبحت ملكه، حتى زجّ بي في غرفة النوم، ورمى بجسدي على سريره مستمتعا بي، ظلّاً منه أنني أشعر بكل مداعباته لي، ولا يدري بأن تلك التي تسمى بالمشاعر والأحاسيس الأنثوية قد هربت مني بلا عودة، وأنني لم أعد كسيدة جميلة، أصبح جمالها وبالأعلى عليها، بل عبارة عن جذع شجرة جوفاء، تعصف بي الرياح كيفما تشاء، وأسقطت أوراقها وكسرت أغصانها، وقوّضت بنيانها.

استقام من على جسدي وهو يلهث، لأقوم بعده وأغتسل من وحول الحياة، وأعود بعدها إلى حياتي البائسة وأطفالي الجياع، فأحضّر لهم الطعام الذي يخلو من التوابل، فقط الملح الذي ينساب من عيني يكفي ليملح كل أطعمة العالم، وهكذا توالى الأيام عليّ ليمرّ عام رابع، ليحررني بعدها ويتركني وحيدة أخطو في شوارع الرقة بلا وجهة، حتى تعبت قدمي من السير، اسندت ظهري على جدار منزل طيني، وقرعت بابها، استقبلني سيدة عجوز وزوجها ودخلت بيتها من دون أن يمنعني أحد.

كنت مستسلمة لقردي أتمّ الاستسلام، أتناول بعض لقيمات من طعام تلك السيدة الفاضلة، والتي خصصت لنا غرفة تحتويها بكل ما فينا من أوجاع، تاركة لنا حرية الخروج والتنقل، وذلك بفضل صكّ الحرية التي منحني إياها زوجي السعودي، ولكنني آثرت البقاء لديها حتى الربيع، كنت حينها في قرية السعفة، وكانت هذه العجوز وزوجها يسعيان كي أحصل على بطاقات هوية مدنيّة، كوني مواطنة في دولة الخلافة، لذلك وبعد عدة أشهر حصلت على هوية جديدة تثبت أنني وطفلي مواطنين أحرار من الرقة، كل ذلك كي أستطيع العبور إلى تركيا عبر المرور من مدينة إدلب السورية.

على ذاك الطريق الواصل بين ريف الرقة الغربي ومدينة إدلب، تعرفت على فتاة اسمها روز أمين بركات، كانت معي في تلك الرحلة، عرفتها من عينيها أنها إيزيدية، وكانت هناك تحاول الهروب إلى تركيا هي أيضا، فجمعتنا غرفة صغيرة على أطراف مدينة الرقة الغربية.

وبينما كنا ننتظر الفجر كي نكمل طريقنا عبر الطرق الترابية الواصلة بين القرى، حصلت اشتباكات مسلحة لا ندري بين من ومن، مما أدى إلى تأخّر أمر سفرنا، فبقينا ليال عدة في ذلك المنزل الريفي الذي يجمعنا، عندها انفجرت ينابيع الذكريات، وسالت كلماتها على شفاهنا، وكأننا نعيد الأيام إلى سيرتها الأولى، فامتزجت أحاديثنا مع دموعنا، وبعد أن أنهيت حديثي، أزاحت روز الستارة عن نافذة أحزانها وبدأت بالحديث:

كنت في الحادية عشرة من عمري عندما اقتحم عناصر دولة الخلافة الإسلامية قريتي حردان في الثالث من آب من عام 2014، فاضطررنا للهروب مع أهالي القرية وصعود الجبال، كون الجبال ملاذنا الأخير، كما تعودنا منذ قديم الأزل، الجبال التي تعرفنا وتحفظ أسماءنا وعاداتنا ومآسينا، فألقوا القبض علينا من بين الصخور، فقد أحاطوا بنا من كل الجهات، بعدها قاموا بعزل النساء عن الرجال ونقلنا عبر سيارتهم إلى الموصل، بعد أيام من الانتظار الصعب، ازداد عدد الأسيرات إلى أكثر من ثلاثمئة إيزيدية،

ليأتي أمراء داعش ويقوموا باختيار الفتيات وفرزهنّ بحسب نسبة جمالهنّ، وبيعهن كسبايا حربهم القذرة، كم أرتجف كلما تعنّ هذه الأيام على بالي، فأصيب بالغثيان، كانت أعينهم تشتعل نيرانا عندما لمحونا أول مرة، فكان لعابهم يسيل على أجسادنا الغضة.. آه كم أكرههم.

تم نقلني مع البقية إلى بلدة بادوش، وكانت معي أختي دلفين ذات 12 عاما، بينما أخذوا أختي الأخرى ليبراس ذات 15 عاما إلى تلعفر، فلم أتمكن من الحديث معها، رغم أننا كنّا معا في مشفى تلعفر، فعناصر داعش قاموا بتفريق العائلات عن بعضها، وبعد أيام ثلاثة عشناها هناك في قلق وخوف، نقلونا إلى قرية كوجو، فوجدت أن رجال وشباب قريتنا كانوا أيضا محتجزين في كوجو، ولكن لم يسمحوا لنا بالاقتراب منهم، وبعد شهر من الاحتجاز والتعذيب والتهديد، هرب ثلاثة شبان من القرية، هذا ما أثار غضب عناصر داعش علينا، وقاموا بعملية تعذيب للجميع وتفريق جديد للعائلات، ومن ثم قاموا بترحيلنا نحن الفتيات إلى الرقة، فانقطعت أخبار أهلي والبقية عني، خاصة دلفين، ما إن وصلنا حتى فرقوا بيننا وبين المتزوجات، وبحسب نسبة الجمال، لكن أختي ليبراس ادّعت أنها متزوجة، بينما قامت عدد من الفتيات بتشويه أنفسهن أو التنكر حتى لا يتم أخذهن، أما رجال قريتي ومن بينهم أهلي، فقد توالى الأخبار عنهم بأن الدواعش قاموا بقتلهم وأن دماءهم لوّنت جدران الجوامع بلون الدم.

هناك بقيت مع والدتي التي دافعت عني حينما قدموا ليأخذوني إلى أميرهم ليتزوجني بتكبيره على رأسي، وعندما منعهم أمي من الاقتراب مني، ضربوها حتى فُجّ رأسها، وسالت الدماء وامتزجت مع صرخاتنا ودموعنا، ثم جاء رجل اسمه نبيل العراقي وبلغ 35 سنة وقام بأخذ أختي ليبراس، بينما جاء عز الدين الملقب بأبي صالح والبالغ 45 سنة بأخذي إلى بيته ووعدني أنه سيعتقني إذا ما تعلمت الصلاة والصيام وقراءة القرآن وصرت مسلمة حقيقية، فقبلت شرطه، وكانت معي فتاة أخرى اسمها هدى، وهي سببية مثلي، لكنه كان يكذب علينا، فتعرضنا للاغتصاب وعشنا معه مدة خمسة أشهر، بعدها أرسلوني إلى مدرسة أشبال الخلافة، فرأيت أختوتي الصغار هناك، وبعد أن أتممت الدورة وتعلمت قراءة القرآن، اعتق سراحي وكان ذلك ليلة عيد الأضحى، لأعود إلى الرقة.

وصلت إلى هناك بقلب ممزق وآهات محترقة على أهلي، كنت مجبرة على أن أسكن في المضافات المخصصة لإيواء نساء عناصر تنظيم داعش، عشت هناك أيام لا تحصى من الألم والحزن، وما زاد بؤسي هو أن أحد الأمراء أخبرني أن عليّ أن أتزوج مرة أخرى وإلا سوف يجبروني ويعيدونني إلى الأسر، ولن أرى أخي محمود الذي وجدته في مركز أشبال الخلافة، لذلك اضطرت على القبول، وتزوجت من رجل لبناني الأصل، لا يتجاوز العشرين من عمره، ويلقب بأبي معاذ، ليقوم بعدها بالبحث عن أخواتي في سوق النخاسة، فتعرف على المدعو أبو هدى، حيث كان أبو هدى متزوج من تلك الفتاة هدى والتي كانت معي، فقمنا بزيارتها حتى وجدنا عندها أكثر من ثلاثين فتاة سببية، ليكون المنزل مركزا لعرض السبايا للبيع، ويتراوح سعر الواحدة منهم

حوالي تسعة آلاف دولار، ومن بين السبايا وجدت أختي دلفين، في اللحظات الأخيرة من مساومة على بيعها، فلم أنته من احتضانها حتى أخذها زوجها الجديد بعيدا عني، وسافر بها إلى تلعفر، عدت إلى بيتي منهارة من البكاء والحزن، لأعلم بعد أيام أن زوجها العراقي طلقها وباعها إلى رجل ألماني الجنسية، ووجدت أختي الأصغر أميرة كانت مختبئة ببيت أبو هدى، وقد باعها أبو هدى إلى رجل مصري فيما بعد.

مع تقدم قوات سوريا الديمقراطية، انتقل بنا زوجي إلى دير الزور، ومن حسن حظي أنني التقيت مع بقية أهلي هناك، ومن ثم رحلنا إلى الباغوز، هربا من الاحتجاز الذي كان يقوم به عناصر داعش باتجاه الإيزيديات، وجعلهن دروع بشرية أمام تقدم قوات سوريا الديمقراطية، لذلك قرر زوجي أن نرحل إلى إدلب كي نهرب إلى تركيا، وها أنا هنا وحيدة، بلا سند، فقد قُتل زوجي في الاشتباكات الأخيرة التي حصلت ونحن على الطريق، تركته هناك، دفنته بيدي ونثرت التراب فوق قبره الذي حوى أشلاءه، وأكملت السير حتى وصلت إلى هنا، كما كان مقررا لنا أن نسلكه معا، ها أنا وحيدة فلم يعد لي أحد يهتم بي.

صباحاً استيقظنا على أنباء تقدم الاشتباكات من القرية التي مكثنا فيها عدة ليال، لا نعرف بين من ومن، لكنها تشي بدنو الأجل، اقتربت النيران منا أكثر فأكثر، حمل كل واحد منا متاعه، مسكت بيد طفلي، ومتاعي على ظهري، بينما خرجت روز لا تلوي على شيء، واختفت من بين الدخان والغبار المتصاعد.

تاهت بوصلتي في تلك البقعة القصية عن التاريخ، والجغرافيا، تاهت خطواتنا في ذلك الفجر الصاخب، أخذتني قدماي دون قصد صوب قوات عسكرية ذو رايات صفراء كأشعة الشمس، لم أكن أعرفهم، أو رأيتهم من قبل، إلا أنني سمعت أنهم يجوبون المناطق ويقاثلون الدواعش، وهذه القوات قامت بتحرير القرية التي كنت فيها مدة ليلتين، وحررتنا معها من نير هذه الدولة الإسلامية الظالمة، وعادوا بنا إلى مدينة قامشلو في الشمال السوري.

آه لو كانت روز معنا، أو أنها لم تختف ولم تهرب، لكانت هي أيضا محررة، وعائدة إلى أهلها، لكن للقدر تصاريف تعجز عقولنا عن إدراكها إلا بعد أن تتحقق النبوءة، وها أنا وبعد أيام قليلة سأعود إلى شنكال، مدينتي وموطن أهلي، أيام رحلت أعدّها بالساعات والدقائق والثواني، وعينا لا تفارقان السماء، وشفقتاي تدعوان بكل الأدعية الإيزيدية حتى تمنحني بعضا من الأمان، أحتضن صورة بناتي اللواتي لم أعد أعرف عنهما شيئا، وملامح زوجي الراحل ما تزال تتراءى أمامي ليقول لي كل صباح: لقد هنأت روعي أخيرا في مئوaha البعيد، ها قد عدت إلى بيتك، فازرعني بذور الأمل في صحن دارك، لتنبت زهور الحرية من جديد، فموعد لقاءك مع بناتك قد اقترب...

في شنكال، مدينتي العائدة من الموت، رأيت نعم، تلك المرأة التي كانت تهذي بأسماء أبنائها وتنام إلى جانبي الأيمن في ذلك القصر الكئيب، ووجدتها بكامل إيزيديتها، تنتظر المحررات القادمات من سوريا، وكانت من بين الجموع المهنئة بعودتنا، فقد

سمعت باسمي، وعندما توقفت بنا الحافلة علا بوابة المدينة، الحافلة التي عبرت بي مئات الكيلومترات وعبرت الحدود، هرولت نحوي بلهفة ألف امرأة، وفي عينيها تلمع الدموع والأسئلة، حسبت أن احتضاننا سينسينا بعضا من آلام الماضي، وأوجاع الأيام التي عشناها بأسى، والتي ودنا أن ننساها، ولكن الماضي لن يسمح لنا أن نجتاز عتبهته، من دون أن نستنشق عطر ذكرياته.

لقد تمكن نعام من الفرار من زوجها المنتمي إلى تنظيم داعش بع أن عاشت معه مدة شهرين وكان يدعى أبو حمزة الجزراوي، الأربعيني الذي لا يملّ من ضربها وتعنيفها، هكذا قالت لي فيما بعد، بعدها وفي ليلة مظلمة تمكنت من الهروب عن طريق مهرب، دفعت له من مال سرقته من جيب الجزراوي، وعادت إلى شنكال عام 2015، إلى مخيم كبرتو.

لم يستمر احتضاني لنعام إلا لحظات حتى بدأت بالكلام عن جاني، فأنا أمّ وأعرف لوعة الأم على بناتها، حكيت لها كيف أنني التقيتُ بسيدة قادمة من جهة تل رفعت، تلك المنطقة التي شهدت تفريق جاني عن أمها، حينها ازداد لهيب الحزب اشتعالا في قلب نعام وصارت تنتحب، تركتها تفرغ بعضا من شحنة بؤسها وتغسل حزنها بالدموع، ثم أتممت لها ما حصل لابنتها، وآخر المعلومات التي في حوزتي، منذ تزويجها أول مرة، مرورا بأزواجها الذين قُتلوا في الغارات والاشتباكات، حتى انقطعت الأخبار عنها، عندما نقلوها إلى الباغوز.

الأيام حبلى بالمآسي، لكنها ستلد فرحاً وسعادة، عندما يكون التحرير، فأمّ جاني لم تكن على علم بكل الأمور والأحداث التي جرت مع جاني، فبعد أن انتقلت إلى الباغوز، صارت في عهدة أشبال الخلافة، لصغر سنها، ولأنها كانت مصابة في رأسها فلم يعذبها أحد، ولم تعاقب، بل أقامت في مدارس أشبال الخلافة، وفي حملة تحرير الباغوز عام 2019، سكنت في مخيم الهول من دون أن يعلم بها أحد، فهي في نظر الجميع طفلة يتيمة، من أيتام العائلات المؤيدة لتنظيم داعش، وبقيت هناك مدة ثلاث سنوات، لأنها لم تكن تجرؤ على الاعتراف لأحد بأنها إيزيدية، خوفا من القتل على يد النساء الداعشيات، وفي يوم تم إلقاء القبض على فتاة سورية تدعى عائشة، كانت تسكن معها في خيمتها، لأنها كانت من اللواتي تقمن بتجنيد الأطفال على مقاتلة قوات سوريا الديمقراطية، اعترفت عائشة بأنها تدرّب فتيات إيزيديات ومنهن جاني، حينها تم تحرير جاني ومثيلاتها بالقوة، لتنام أول ليلة في حياتها بلا خوف في البيت الإيزيدي المخصص للمحررات القادمات من مخيم الهول، وستعود ذات نهار إلى أمها وأهلها وقريتها.

أما سوسن، والتي تزوجت من أبي محمد العراقي، لم تتلقَ منه سوى الإهانات والمعاناة، تنقلت معه بين الكثير من المناطق والمدن والقرى، ابتداءً من الرقة والتي عاشت فيها مدة ثمانية أشهر ومرورا إلى بلدة خشام، ثم العودة إلى الرقة من جديد، وثم الانتقال إلى الميادين، وإلى دير الزور، ثم العشارة، فألبو كمال، ثم الشعفة، وذلك لشدة القصف الذي كانت تتعرض له تلك المدن في حملات تحرير المنطقة من تنظيم داعش، والتي كانت تقوم به قوات سوريا الديمقراطية، حتى قُتل أبو محمد في الشعفة، بينما

هي تم أسرها في الباغوز، ولكنها لم تكن تستطيع أن تفصح عن نفسها بأنها إيزيدية، بسبب التخويف والتهديد بالقتل، إذا ما خرجت من خيمتها أو أخبرت قوات سوريا الديمقراطية بقصتها، لذلك عاشت في مخيم الهول على أنها سيدة مغربية، وفي 2022/8/26 تقدمت لإعطاء بياناتها، عندها أخبرتهم بأنها إيزيدية، في تلك الحملة الأمنية التي كانت تسمى حملة الإنسانية والأمن، وهي تنتظر العودة إلى شنكال ومقابلة أهلها وأعمامها من جديد، وتحلم بأن تكمل دراستها وتنجح وتفوق أيضاً.

كان الغبار والدخان يغطي هروب روز من ساحة الاشتباكات التي حصلت بين قوات قسد وبين عناصر داعش في غرب الرقة، حينها تمكنت روز من الهروب واللجوء إلى إدلب، في محاولة منها دخول الأراضي التركية، ولكن التنظيم أعادها إلى تل أبيب، ومنها إلى دير الزور، وقتها تمكنت قوات قسد من تحريرها من تنظيم داعش، فأخبرتهم بقصتها وتم تحريرها بتاريخ 2022/9/1.

تشرق الشمس كل يوم وتغيب في قلوب أولئك الأمهات المنتظرات عودة من بقيت هناك تعاني الأسر، عودة من اختفى ذكراها، وربما تظهر الأيام أن للقدر تصاريف جديدة للحياة، وستفتح براعم الفرح عما قريب، إذا ما عادت أسيرة إلى حضن أمها أو عائلتها، فشنكال أم رؤوم، لا تعرف اليأس أو الحزن.

هذه ليست النهاية، نهاية الأزمة، ولكنها بداية عودة الفرح لشنكال، لأن شنكال تستحق أن تسعد بقاء أبنائها وبناتها ذات

يوم....

- وتحتل داعش مركز الصدارة بين الجماعات المسلحة في ممارسة العنف الجنسي و الوحشي و بما اقترفته من جرائم السبي و الزواج القسري و قتل للأسيرات هذا وما يزال خطر التنظيم قائماً في المنطقة رغم الجهود المبذولة للقضاء عليه وعلى خلاياه النائمة في المنطقة إلا أن محاولاته ما تزال مستمرة في إعادة تنظيمه وعودته عسكرياً من جديد ونرى ذلك في العمليات العسكرية التي يقوم بها من فترة لأخرى عبر خلاياه النائمة والتي تستهدف المرأة بشكل مباشر حيث يتم تهديد كل من يتعاون مع الإدارة الذاتية وبيتعد عن فكر التنظيم بالقتل خاصةً في مناطق دير الزور وأريافها وداخل المخيمات التي تأوي عناصر التنظيم نذكر منها مخيم الهول ومخيم روج وتنشط حالات استهداف المرأة في الأماكن المذكورة نذكر منها :

- بتاريخ 2022/7/15 ارتكبت جريمة قتل بحق فتاة تبلغ من العمر 22 عاماً وهي إعلامية في لجنة المرأة حيث دُبحت على يد عناصر التنظيم وعثر على جثتها في منزل قرب بلدة محمييدة في دير الزور .

- كذلك تم ذكر حالات القتل التي حصلت في مخيم الهول في فقرة واقع المرأة في المخيمات .

- رابعاً : واقع المرأة في مناطق شمال وشرق سوريا :

الأزمة الكارثية التي تتعرض لها سوريا منذ قرابة العقد من الزمن طالت كل شرائح و فئات المجتمع بلا استثناء و انعكست عليها جميعاً بأشكال وخيمة ، و المرأة السورية التي كانت قبل هذه الأزمة تعاني معاناة مزدوجة يرتبط جزء منها بالمعاناة العامة لكل المواطنين في بلاد تحكمها سلطة مستبدة و يرتبط الجزء الآخر بالمورث الذكوري التاريخي المتجذر التي تحميه كل من المعتقدات الدينية و التقاليد العرفية التي تعرقل تطور و تقدم المجتمع ككل ، أما معاناة المرأة السورية خاصة تكمن فيما تتعرض له من عنف خلال فترة الحرب في سوريا و التي لا تزال تتصاعد و تبدو أن لا نهاية لها و يندرج في إطار العنف ضد المرأة أعمال العنف التي يقوم بها الأفراد أو الدول أو المنظمات الإجرامية و في هذه الظروف المتدهورة في كثير من الأحيان عانت المرأة من ظروف قاسية و صعبة جداً من النزوح و التشرد و الفقر و تندهور ظروف السكن و رداءة الرعاية الصحية و النقشف الحاد وما يشابه ذلك فكثير ما باتت المرأة سواء كانت قادرة على العمل أو غير قادرة تجد نفسها في هذه الظروف شديدة البؤس و عرضة للاستغلال الاقتصادي أو الاستغلال الجنسي .

- وقد نمت ظاهرة العنف أكثر بسبب الفلتان الأمني و تدهور الاقتصاد هذه الأسباب كلها ساعدت على العنف ضد المرأة مما أدى في الكثير من الاحيان إلى الانتحار أو قتلها من قبل ذويها تحت ذريعة الشرف .

- وفيما يلي نورد إحصائية واردة من هيئة الداخلية في شمال وشرق سوريا عن الجرائم والانتهاكات المرتكبة في مناطق شمال وشرق سوريا والتي تديرها الإدارة الذاتية الديمقراطية في شمال وشرق سوريا :

- إحصائية الجرائم المتعلقة بالمرأة :

| اغْتصاب | قتل | خطف | انتحار |
|---------|-----|-----|--------|
| 28 | 79 | 15 | 43 |

- إحصائية الجرائم المتعلقة بالأطفال :

| اغْتصاب | قتل | خطف | انتحار |
|---------|-----|-----|--------|
| 8 | 16 | 28 | 1 |

- ونذكر هنا بعض حالات القتل و الانتحار و الاغتصاب و الخطف حسب الحالات الموثقة لدى المنظمة ومنها :
 - بتاريخ 2022/2/28 انتحار شابة تبلغ من العمر /35/ عاماً في ظروف غامضة في منزلها في مدينة القامشلي .
 - بتاريخ 2022/1/10 تم خطف فتاة إيزيدية مع عائلتها والتي تبلغ من العمر /19/ عاماً من قبل داعش .
 - بتاريخ 2022/3/30 انتحار امرأة في قرية كركدال التابعة لناحية ديريك دون معرفة الأسباب .
 - بتاريخ 2022/4/1 تعرضت امرأة و ابنتها في ناحية العريشة للقتل بأداة حادة (ساطور) من قبل مجهولين .
 - بتاريخ 2022/4/3 تعرضت فتاتان بالغتان من العمر /14- 16/ عام للخطف من قبل شخصين بسبب رفضهم الزواج بهم .
 - بتاريخ 2022/4/4 تعرضت امرأة تبلغ من العمر /57/ عاماً للقتل طعنًا بالسكين و سرقة منزلها.
 - بتاريخ 2022/4/11 تعرضت امرأة حامل والبالغة من العمر /20/ عاماً في منطقة الجوادية للقتل على يد زوجها .
 - بتاريخ 2022/5/2 ورد معلومات من مركز قوى الأمن لداخلي في الترسبييه بوجود امرأة في مركز الهلال الأحمر الكردي تعرض لحالة اعتداء و اختناق .
 - بتاريخ 2022/5/11 قتل امرأة بطلق ناري طائش في الرأس أثناء شجار حصل بين أختها على الميراث في مركدة تابعة لمدينة الحسكة .
 - بتاريخ 2022/5/16 تم العثور على جثة امرأة مجهولة الهوية محروقة الوجه متعرضة لأربع طلقات في منطقة الصدر و الرقبة في وادي الدوسة ضمن قرية تل عودة التابعة لريف القامشلي الجنوبي.
 - بتاريخ 2022/5/19 تعرضت فتاة تبلغ من العمر /25/ عاماً للقتل على يد زوجها طعنًا بضربة سكين في الرقبة في ترسبييه .

- بتاريخ 2022/5/19 العثور على جثة فتاة تبلغ من العمر /24/ عاماً تحت الجسر القديم في نهر الفرات في الرقة.
- بتاريخ 2022/5/24 تعرضت فتاة تبلغ من العمر /17/ عاماً للقتل طعنًا بأداة حادة على صدرها من الجهة اليسرى في مدينة الحسكة .
- بتاريخ 2022/5/29 تعرضت مواطنة تبلغ من العمر /20/ عاماً بالقتل على يد أخيها بدافع الشرف في مدينة الرقة .
- 2022/6/1 تم العثور على جثة مجهولة الهوية على طريق قريتي عرعر الغمر و شيررو الواقعتين جنوب ناحية معبدة .
- بتاريخ 2022/6/6 انتحار شابة من قرية عيلم من ريف كوباني الغربي .
- بتاريخ 2022/6/14 أقدمت امرأة على الانتحار تبلغ من العمر /75/ عاماً شتقاً تعاني من مرض نفسي .
- بتاريخ 2022/6/15 إصابة فتاة بعدة طعنات من قبل شقيقها الذي يتعاطى المخدرات عند رفضها إعطاها مبلغ من المال في مدينة الحسكة .
- بتاريخ 2022/6/15 تعرضت امرأة للقتل على يد أخيها بسبب خلاف عائلي .
- بتاريخ 2022/6/18 أقدمت فتاة تبلغ من العمر /19/ عاماً في مدينة ديريك على الانتحار بتناول كمية كبيرة من الحبوب .
- بتاريخ 2022/6/19 أقدمت سيدة تبلغ من العمر /25/ عاماً على الانتحار بطلقة نارية في الرأس في قرية هيمو في مدينة القامشلي .
- بتاريخ 2022/6/21 تم البلاغ عن امرأة متوفية في منزلها في الحي الغربي في مدينة القامشلي .

- بتاريخ 2022/6/22 تعرضت امرأة بطلق ناربي في الرأس في مخيم الهول .
- بتاريخ 2022/6/27 أقدمت فتاة على الانتحار تبلغ من العمر /20/ عاماً في عامودا بتناول كمية من الحبوب .
- بتاريخ 2022/6/27 أقدمت فتاة تبلغ من العمر /18/ عاماً بمحاولة الانتحار بوضع السم وذلك بسبب خلاف عائلي .
- بتاريخ 2022/7/19 إصابة امرأة في الثلاثين من عمرها بطلق ناربي في الرأس نتيجة إطلاق نار عشوائي في حي مرشو في الحسكة .
- بتاريخ 2022/9/12 إصابة امرأة نتيجة انفجار دراجة نارية في مخيم واشي كاني شمال غربي الحسكة .
- بتاريخ 2022/10/17 أقدمت فتاة تبلغ من العمر /17/ عاماً على الانتحار في حي مرشو في مدينة الحسكة .
- بتاريخ 2022/10/17 محاولة قتل امرأة تبلغ من العمر /30/ عام من قبل زوجها بإطلاق /7/ طلقات نارية ولا تزال على قيد الحياة في ناحية تل تمر .

خامساً : واقع المرأة في المخيمات :

- تعاني المرأة في المخيمات الكثير من الضغوطات النفسية من مصاعب و مآسي بسبب تركها لمنزلها و ممتلكاتها و تحمل مشاق التهجير و قسوة النزوح إلى جانب فقدان المعيل و التي تفرض ضغوط إضافية حيث تعيش ظروف قاسية و صعبة جداً و تنعدم فيها أبسط مقومات الحياة و الخصوصية فالحمامات المختلطة و الخيم متلاصقة و الراحة معدومة إلى جانب تحملها أعباء أفراد أسرتها و سوء الأوضاع المعيشية مما قد تتسبب بخلافات عائلية و تعاني أيضاً من وجود أمراض مزمنة أو أمراض عصبية كالجنون و معاناة المرأة الحامل خاصة من ضغوطات إضافية بسبب عدم توفر مراكز صحية مختصة في المخيم ومعظم المخيمات المنتشرة في مناطق شمال وشرق سوريا تشكل النساء والأطفال الغالبية العظمى من سكان هذه المخيمات ومعاناتها تتشابه في ظل تشابه الظروف الجوية القاسية ونقص في المساعدات الإنسانية المقدمة والتهميش المسيس للمخيمات في هذه المنطقة اتباع سياسة مزدوجة بيم هذه المخيمات ، المخيمات المتواجدة في شمال وغرب سوريا من ناحية المساعدات الإنسانية المقدمة مع اختلاف الظروف الأمنية وآليات التنظيم داخل المخيمات فالمخيمات في شمال وشرق سوريا في معظمها رغم الصعوبات المعيشية والصحية والنقص الكبير في المساعدات

الإنسانية المقدمة لكنها أكثر تنظيماً والوضع الأمني فيها أكثر استقراراً والانتهاكات داخل المخيمات في حدها الأدنى عدا عن مخيم الهول وذلك بسبب اختلاف طبيعة الأشخاص المتواجدين داخل المخي كونهم في معظمهم عوائل لعناصر تنظيم الدولة الإسلامية داعش والذين يتمسكون بالفكر الإسلامي الجهادي المتطرف القائم على العنف خاصةً العنف الاجتماعي والنوعي القائم على التمييز والتكفير .

- **أما في مخيم الهول :** الذي يعاني من أوضاع إنسانية متدهورة حيث النقص في التزويد المنتظم بالمياه والتغذية والرعاية الصحية غير كافية وملائمة والخيم بحاجة إلى إصلاح نتيجة ما أفسدته الأحوال الجوية القاسية ناهيك عن اكتظاظها ، داخل كل خيمة قد تسكن أكثر من عائلة واحدة كذلك الحال بالنسبة للمرافق الصحية هذا لا يزال يقطن في مخيم الهول ما يقارب /58000/ شخص بينهم 17000 امرأة و 37000 طفل بينهم عدد كبير من الإناث وهم من عوائل تنظيم الدولة الإسلامية داعش جنسيات مختلفة سورية و عراقية و أجانب ، بالإضافة إلى عدد من الايزيديات المتخفيات داخل المخيم بين عناصر عوائل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) لا يفصحون عن شخصياتهن خوفاً من التهديد الذي يتلقونه على يد نساء الحسبة داخل المخيم ، أما بالنسبة لنساء من عوائل تنظيم (داعش) فهن يقمن بترسيخ الفكر الجهادي المتطرف فيما بينهم ضمن المخيم حيث يتم التدريب على فنون القتال و التدريب على تطبيق تعاليم الفكر الجهادي و قوانينه و أن تم الرفض من بعض النسوة يتم تهديدهن بالقتل من قبل عناصر الحسبة و معظم حالات القتل تتم عند قيام بعض النسوة بأعمال مخالفة للتعاليم الشرعية حيث يتم قتلهن و رميهن في المجاري الصحية و تعرض الجثة للتشويه و لا يمكن نفضها و بقائها في مجاري الصرف الصحي فترة من الزمن و يتم القتل في حالات السرقة أو في حالات التكفير بسبب ابتعاد الفكر الديني المتطرف حيث تم توثيق بعض حالات القتل و اصابة أربع و اعتقال تسعة في المخيم و نذكر منها :

- بتاريخ 2022/4/19 تم العثور على جثتين لامرأتين مجهولتين الهوية في القطاع الرابع بعد قتلهن بجوار جامع القطاع و بنفس الوقت تم العثور على جثة امرأة عراقية مقتولة في اقطاع الأول .
- بتاريخ 2022/4/21 تم العثور على جثة امرأة من الجنسية السورية تعرضت للقتل بالرصاص داخل المخيم و تبين أن الجريمة تقف خلفها خلايا من مرتزقة داعش .
- بتاريخ 2022/5/8 تم اغتيال تنظيم داعش لامرأتين في المخيم .
- بتاريخ 2022/6/12 عثرت قوات الأمن الداخلي على جثة امرأة مقتولة و مرمية في الصرف الصحي ضمن القطاع الخامس و هي من أهالي دير الزور .
- بتاريخ 2022/6/22 تعرض امرأة للقتل بطلق ناري في الرأس .

- بتاريخ 2022/6/23 تبين وجود امرأة مصابة بطلق ناري في كتفها الأيمن و العنق و هي من الفيز السادس و تم نقلها إلى مشفى الشعب في الحسكة .
- بتاريخ 2022/7/17 عثرت قوات الأمن الداخلي على جثة مقتولة و ملقاة في الصرف الصحي في القطاع الخامس المخصص للسوريين .

- أما بالنسبة لمخيم روج والذي يحوي نساء وفتيات و أطفال من عوائل عناصر التنظيم الأقل تشدداً فالوضع أفضل من ناحية الخدمة والإغاثة المقدمة وحتى من الناحية الأمنية حيث سكان المخيم هم أقل تشدداً وتطرفاً وينقل إليه عوائل التنظيم بعد إعادة تأهيلهم لفترة وتستمر عمليات إعادة التأهيل بداخله عبر منظمات محلية ومنظمات دولية غير حكومية إلا أن المشاكل القانونية المتعلقة بمصير النساء داخل المخيم ومصيرهن لازال مجهولاً فالعديد من الدول لا تعترف ولا تقبل استعادة مواطنيها من تلك المخيمات خاصةً من الجنسيات العربية والتي تعتبر مشاكلها الأعداء ومستقبلهم لازال غامضاً خاصةً في ظل عدم وجود محاكم دولية لبيان مصيرهم وعدم تقبل دولهم لهم وعدم قدرتهم حتى الآن الاندماج مع المجتمع المحيط .

سادساً : واقع المرأة في المناطق المحتلة :

- ظهرت جرائم و انتهاكات عديدة بحق النساء و الفتيات في المناطق المحتلة فالمرأة تتعرض للعنف و الإهانة و ترتكب جرائم بشعة من تعذيب و اغتصاب و خطف و خاصة في المناطق المحتلة من قبل الاحتلال التركي و فصائله المسلحة بالإضافة إلى استخدام كافة أنواع الأسلحة و القصف المستمر على تلك المناطق التي تسببت بقتل مئات المدنيين العزل بينهم أطفال و نساء بالإضافة إلى تدمير البنية التحتية و استهداف الأماكن الأثرية و إجبار الأهالي على النزوح من قراهم و مدنهم و لم يكتف الاحتلال التركي بهذا القدر بل باشر باختطاف المدنيين و خاصة النساء و الأطفال بهدف تهجيرهم بالقوة و إخراجهم من ديارهم و توطين بدلاً منهم عوائل عناصر الفصائل المسلحة واللاجئين السوريين داخل الأراضي التركية و عوائل التركمان وذلك لتحقيق هدف تركيا في الحصول على التغيير الديمغرافي في المنطقة و تحت الظروف الاقتصادية و الاجتماعية السيئة تلجأ العديد من النساء إلى الانتحار خوفاً من العار و تتعرض للاغتصاب بعد خطفهن من قبل فصائل الجيش التركي فيعتبرون أن الانتحار الملاذ الوحيد للخلاص من الظلم و الذل الذي يعيشونه بالإضافة إلى عدم توفر سبل العيش من مأوى و مأكلاً و مشرباً و بالإضافة إلى العديد من العائلات لا توجد لديهم معيل فيتم استغلال أوضاعهم المادية و يصبحون عرضة للإتجار تحت مسميات مختلفة منها الدعارة و تزويج القاصرات و الهجرة البرية عبر الحدود و الاختطاف و الابتزاز الذي أصبح مصدر تمويل و وسيلة لدفع العوائل على ترك مناطقهم و الهجرة عبر الحدود البرية التي أصبحت تجارة رائجة و العديد من الاشتباكات بين الفصائل سببها الخلاف في السيطرة على معابر التهريب المختلفة الحدودية وحتى داخل الأراضي السورية ، كذلك تقوم الشرطة العسكرية في كل من عفرين و رأس العين و تل

أبيض بتقييد الحريات الأساسية ومنع التجمعات أو أي نشاط يدعم حقوق المرأة كما استهدفوا ناشطين في مجال حقوق المرأة واستخدموا العنف والتهديد بحقهم خاصة النساء منهم وذلك لمنع الانخراط في الحياة العامة والتأثير على المجتمع حتى أن العديد من الناشطات في مجال حقوق المرأة تراجعن وتخفين عن عملهن خوفاً من التعرض للاعتقال والخطف وحتى القتل ومواضيع المساواة بين الجنسين والجنس والجنس ومناهضة التمييز ضد المرأة هي أمور تعتبر مخالفة لشريعتهم ونظام حياتهم الذين انتهجوه في المناطق المحتلة فانتهك الهوية والحضارية والأعراف والتقاليد وحتى الفلكور واللباس وممارسة الإرهاب الاجتماعي هو هدف أساسي لمنع تطور الثقافة الاجتماعية وفرض سياسة الدين الواحد والتطرف في الفكر والإرهاب كسياسة ممنهجة خاصة بحق المرأة لكسر إرادة المجتمع وإرغامهم على الرضوخ ويعتبر الاعتقال التعسفي والإخفاء القسري وسيلة ناجحة لتحقيق هذه السياسة المنشودة .

- وضع المرأة في المناطق المحتلة غاية في الصعوبة خاصة فيما يتعلق بمجال العنف الجنساني فلا يوجد منظمات أو حتى جهات مدنية أو إدارية يمكن أن تقدم المساعدة القانونية أو الحماية للمرأة معزولة تماماً عن الحياة الاجتماعية خوفاً من الوضع الاجتماعي المرتبط بالعنف الجنسي ولا ملاجئ لإيواء الناجيات اللواتي يرغبن في طلب الانتصاف لا يوجد أمامهم سوى المجلس المحلي المدني المتشدد دينياً ولجان التظلم التي يعمل بها ذكور فقط وهي غير فاعلة ولا تعمل إلا بأحكام وفرضوها على أساس الشريعة المتشددة والتي تعتبر تظلم المرأة نشاذ ونفور من العائلة .

- منذ احتلال عفرين تم استهداف المرأة بشكل مباشر حيث تم توثيق /95/ حالة قتل لنساء بطرق مختلفة بالاستهداف المباشر بالأسلحة الثقيلة والقتل تحت التعذيب أو الاستهداف عبر القناصة أو بحجة السرقة والخطف ومن بين هذه الحالات /8/ حالات انتحار بسبب الضغوطات الكبيرة التي تعرضن لها خاصة حالات الاغتصاب ، وقد تم تسجيل /72/ حالة اغتصاب منذ بدء الاحتلال أما خلال عام 2022 فقد بلغ عدد حالات الضحايا اللواتي فقدن حياتهن /10/ حالات بينهم حالي انتحار أما الخطف والاعتقال فقد بلغت الحالات /46/ حالة وحالة اعتداء جنسي واحدة كما تم توثيقه وهي موضحة كالتالي :

- بتاريخ 2022/2/4 اعتقال امرأة في قرية كتخ في ريف عفرين من قبل فصيل أحرار الشام وتعرضها لسوء المعاملة والتعذيب .

- بتاريخ 2022/2/27 اعتقال فتاة تبلغ من العمر /18/ عام أثناء محاولتها العبور إلى الأراضي التركية وتعرضها لسوء المعاملة .

- بتاريخ 2022/3/20 اختطاف فتاة من قبل جماعة مجهولي الهوية بعد خروجها من منزلها وطلب فدية مالية /20/ ألف دولار مقابل إطلاق سراحها .

- بتاريخ 2022/4/7 فقدت مواطنة بالغة من العمر /27/ عام حياتها جراء هجوم صاروخي على منطقة عفرين .
- بتاريخ 2022/4/16 أقيمت الاستخبارات التركية على اختطاف أرملة كردية وهي أم لخمسة أطفال وتبلغ من العمر /24/ عام عند توجهها من مدينة حلب إلى الحدود التركية بقصد العبور إلى تركيا .
- بتاريخ 2022/4/21 اختطاف فتاة تبلغ من العمر /19/ عام من قبل الجبهة الشامية التابعة لفصائل الجيش الوطني السوري في مدينة عفرين أثناء محاولتها العبور للأراضي التركية .
- بتاريخ 2022/5/1 إصابة امرأة تبلغ من العمر /62/ عام بطلق رصاص عشوائي أثناء اندلاع اشتباكات مسلحة بين الفصائل .
- بتاريخ 2022/5/3 تم اختطاف امرأة كردية تبلغ من العمر /35/ عام من قرية تيتكا أثناء ذهابها إلى مدينة عفرين من قبل الفصائل المسلحة .
- بتاريخ 2022/6/3 تم اختطاف فتاة في قرية كاخرة في ريف عفرين من قبل فصائل العمشات التابع للاحتلال التركي.
- بتاريخ 2022/6/8 قام أحد قيادي الجيش السوري بإجبار امرأة عن التنازل عن شكوى قدمته لحقه في مدينة عفرين بالتهديد .
- بتاريخ 2022/6/29 انتحار فتاة تبلغ من العمر /20/ عام من قرية برقليا في ريف عفرين وذلك بإطلاق النار في حنجرتها .
- بتاريخ 2022/7/1 انتحار امرأة في مخيم سردم في شهباء بحلب .
- بتاريخ 2022/7/24 تم اختطاف امرأة من قبل الاحتلال التركي في منطقة شيراوا التابعة لريف عفرين .
- بتاريخ 2022/7/26 مقتل امرأة تبلغ من العمر /20/ عام في منطقة الشهباء نتيجة القصف التركي للمنطقة .
- بتاريخ 2022/8/4 إصابة فتاتين أعمارهم /23 - 24/ سنة أثر استهداف طائرة مسيرة تابعة للاحتلال التركي لمركز ناحية تل رفعت في ريف حلب .
- بتاريخ 2022/8/21 اعتقلت الجندمة التركية فتاتين أثناء محاولتهن العبور إلى الأراضي التركية .

- بتاريخ 2022/8/24 مقتل فتاة تبلغ من العمر /21/ أثر استهداف طائرة مسيرة لمنطقة تل رفعت في ريف حلب .
- بتاريخ 2022/9/15 اعتقال فتاة تبلغ من العمر /18/ عان أثناء محاولتها العبور من بوابة عفرين إلى خارج سوريا.
- بتاريخ 2022/9/30 اعتقال فتاتين أعمارهم /34 – 32/ عام من قبل الاستخبارات التركية في مدينة عفرين وإطلاق سراحهم بعد دفع ذويهم فدية مالية .
- إن الواقع المرير للمرأة في المناطق المحتلة يتجاوز تأثيره نتيجة سياسة العنف المتبعة نحو شعوب المنطقة إلى باقي مناطق شمال شرق سوريا خاصةً الحدودية على كامل الحدود السورية التركية والمتاخمة لخطوط الجبهات في مناطق منبج ، عين عيسى ، تل تمر وزرکان وأريافهم .
- وفيما يلي بعض الحالات الموثقة للاستهداف المباشر للمدنيين والمواقع المدنية والإدارية في شمال شرق سوريا بالمدفعية والطائرات الحربية والطائرات المسيرة والتي راح ضحيتها عشرات النساء والأطفال .
ونذكر حالات منها :
- بتاريخ 2022/1/8 إصابة /4/ نساء نتيجة قصف قرية قرموغ بريف كوباني .
- بتاريخ 2022/1/22 فقدان مقاتلات من قوات سوريا الديمقراطية حياتهم خلال الاشتباك الذي دار بين قوات سوريا الديمقراطية و تنظيم داعش في الحسكة.
- بتاريخ 2022/2/2 إصابة مواطنة بجروح خطيرة نتيجة قصف الاحتلال التركي على ناحية زرکان شمال مدينة الحسكة .
- بتاريخ 2022/2/9 إصابة امرأتان أعمارهم /18-23/ نتيجة شن جيش الاحتلال التركي و مرتزقته على قرية عرب حسن الواقعة في ريف منبج الشمالي الغربي .
- بتاريخ 2022/2/24 إصابة /3/ نساء نتيجة استهداف طائرة مسيرة تابعة للاحتلال التركي بسيارة تقل المواطنين كانت قادمة من عامودا باتجاه مدينة القامشلي .
- بتاريخ 2022/2/27 إصابة امرأة نتيجة قصف الاحتلال التركي قرى تابعة لناحية تل تمر.

- بتاريخ 2022/3/31 تم إصابة امرأة تبلغ من العمر /42/ عام جراء انفجار حدث في مبنى بقرية الأحداث في ناحية الشهباء .
- بتاريخ 2022/4/15 إصابة امرأة نتيجة القصف المتواصل لقوات الاحتلال التركي و مرتزقته على قرى ريف منبج الشمالي .
- بتاريخ 2022/4/20 فقدان /3/ مقاتلات لحياتهم نتيجة استهداف الاحتلال التركي سيارة في ريف مدينة كوباني على الطريق لواصل بين قريتي إيدق و تخته .
- بتاريخ 2022/5/30 فقدان امرأة لحياتها التي تبلغ من العمر /31/ عاماً و إصابة امرأة أخرى نتيجة استهداف طائرة مسيرة تابعة للاحتلال التركي سيارة مدنية بالقرب من قرية سيكركا في القامشلي .
- بتاريخ 2022/6/2 إصابة امرأة نتيجة قصف الاحتلال التركي على ناحية أبو راسين .
- بتاريخ 2022/6/2 إصابة امرأة نتيجة انفجار صاروخ في ناحية زركان .
- بتاريخ 2022/7/21 أقد شاب بالعقد الثالث من العمر بأطلاق النار على شقيقته البالغة من العمر /50/ عاماً في الشارع العام بحي الزنود في مدينة القامشلي أدى لوفاتها فوراً .
- بتاريخ 2022/7/22 فقدان /3/ مقاتلات من وحدات حماية المرأة لحياتهم نتيجة استهداف طائرة مسيرة تركية على سيارة في قرية شورك بريف مدينة القامشلي .
- بتاريخ 2022/7/24 فقدان امرأتان لحياتهما نتيجة القصف التركي على ناحية تل تمر .
- بتاريخ 2022/7/29 أقدمت طائرات مسيرة على استهداف قوى الأمن الداخلي في عين عيسى أثناء أداء واجبهم و نتج عن هذا الاستهداف مقتل /3/ نساء .
- بتاريخ 2022/7/30 إصابة امرأة و طفلها البالغ من العمر /11/ عام بجروح متفاوتة بعد اقتحام اللص لمنزلها في مدينة الطبقة الساعة الرابعة فجراً و تم نقلهم إلى المشفى و حالة السيدة حرجة بسبب مقاومتها و كثرة الطعنات .

- بتاريخ 2022/7/30 إصابة /4/ نساء البالغات من العمر/25-25-60-63/بشظايا في أجسادهم نتيجة قصف الاحتلال التركي على ناحية تل تمر .
- بتاريخ 2022/8/9 إصابة امرأة نتيجة استهداف الاحتلال التركي على مدينة القامشلي .
- بتاريخ 2022/8/9 إصابة امرأتين بشظايا نتيجة قصف الاحتلال التركي على مدينة القامشلي .
- بتاريخ 2022/8/9 فقدان فتاة لحياتها نتيجة قصف طائرة مسيرة تابعة للاحتلال التركي على منطقة خلف مشفى كوفيد/19/ شمال مدينة القامشلي .
- بتاريخ 2022/8/16 إصابة امرأة بالغة من العمر /40/ عاماً نتيجة قصف طائرة مسيرة تابعة للاحتلال التركي على عائلة في وسط كوباني .
- بتاريخ 2022/11/20 فقدان امرأتين لحياتهما نتيجة قصف طائرة حربية تابعة للاحتلال التركي على قرية تفل بقل بريف ديريك .

سابعاً : حلول العنف ضد المرأة :

- إن آثار العنف ضد المرأة ليست مقتصرة على المرأة بل تتعداها لتصل إلى المجتمع بأكمله ، و تؤثر سلباً في مختلف جوانبه لذلك لا بد من التفكير الجدي في وضع حلول للتصدي لهذا العنف و الحد منه ، و حيث نستعرض فيما يلي بعضاً من الحلول المقترحة :
- 1- **التربية المنزلية :** اتباع الطرائق الحديثة في التربية و الابتعاد عن الأفكار الجاهزة و التقاليد الأعمى و الأعراف التي تتعارض مع المنطق .
- 2- **المناهج الدراسية :** لإكمال دور التربية المنزلية و اقتلاع المشكلة من الجذور فأن من الضروري وضع مناهج دراسية تتضمن برامج تعرف بالعنف و أخطاره و آثاره السلبية في المجتمع .
- 3- **العمل على تغيير الثقافة السائدة في المجتمع و نشر التوعية الاجتماعية :** تقع على عاتق كافة المؤسسات المعنية بقضايا المرأة و المنظمات الأهلية و المدنية في المجتمع و وضع خطط تنموية و اجتماعية و هذا يحتاج إلى كثير من الجهد و العمل لتحقيقه .

4- وضع قوانين حامية للمرأة و تفعيل عملها : ليس المهم وضع قوانين فحسب بل يجب أيضاً تنفيذها و تعزيز دورها ، حتى يمتنع المعتنف عن فعلته خوفاً من العقاب و في حال كانت هذه القوانين موجودة بالفعل و يجي إجراء التعديلات عليها.

5- توعية المرأة دائماً : جهل المرأة بحقوقها و غياب التوعية اللازمة لها من الأسباب الرئيسية لقبولها العنف لذلك يجب بذل جهود حثيثة لنشر الوعي بين النساء و تهيئة الظروف المناسبة لأخذ حقوقهن إضافة إلى إصدار القوانين مثلاً : إلزام المرأة بالتعليم كطريقة لدفع سويتها الفكرية و بما يساعدها لاحقاً على الاستقلال المادي .

6- تمكين المرأة اقتصادياً : أن تنشئ السلطات المحلية لهن مشاريع .

7- الرقابة الشديدة على وسائل الإعلام : تلعب هذه الوسائل دوراً كبيراً في نشر مفاهيم خاطئة و تعزيز أفكار سلبية ضد المرأة ، لذلك على الدولة أن تكون حازمة في رقابتها فلا تسمح بعرض أي شيء مهين للمرأة أو محرض على العنف ضدها .

ثامناً : إحصائيات الانتهاكات المرتكبة بحق المرأة في شمال وشرق سوريا بما فيها المناطق المحتلة :

| نوع الانتهاك | إقليم الجزيرة | إقليم الفرات | دير الزور | الرقبة |
|---------------|---------------|--------------|-----------|--------|
| انتحار | 4 | 2 | | |
| اعتقال | | 2 | | |
| حوادث جنائية | قتل | | 3 | 1 |
| | جرح | | 1 | |
| محاولة انتحار | 5 | | | |
| تفجيرات | جرح | | 1 | |
| خطف | 1 | | | |
| طائرة مسيرة | قتل | 3 | | |
| | جرح | 4 | | |
| مخيم الهول | قتل | | | |
| | جرح | 9 | | |
| اشتبكات | 1 | | | |

تاسعاً : القوانين و العقوبات الخاصة بالعنف ضد المرأة في الإدارة الذاتية :

- فيما يخص حالات العنف و الاغتصاب فمن المفروض أن تظهر على الأرض نتائج تطبيق قانون حماية المرأة بتخفيف هذه الحالات وصولاً إلى إنهائها .
- تمنع قوانين حماية المرأة في مناطق الإدارة الذاتية تزويج القاصرات و تعده جرماً يحاسب عليه القانون و ينص قانون (حماية المرأة) الهادف إلى حماية المرأة من الاضطهاد و ضمان مساواة كاملة مع الرجل في كافة مجالات الحياة العامة و الخاصة ، و من بينها الحقوق السياسية و تشكل تنظيمات بما لا يخالف العقد الاجتماعي و أخذ موافقتها على قوانين التشريعية الخاصة بها .
- و المساواة بين الرجل و المرأة في حق العمل و الأجر و المساواة بين شهادتها و شهادة الرجل من حيث القيمة القانونية .
- كما ينص القانون حماية المرأة على :
 - منع تزويج الفتاة بدون رضاها ، إلغاء المهر و يحل محله مشاركة الطرفين في تأمين الحياة التشاركية ، تنظيم صكوك الزواج مدنياً ، منع تعدد الزوجات ، منع الطلاق بالإرادة المنفردة ، تجريم القتل بذريعة الشرف ، فرض عقوبات متشددة و متساوية على مرتكب الخيانة الزوجية من الطرفين .
 - و كما يعد التمييز جريمة يعاقب عليها و على الإدارة الذاتية الديمقراطية مكافحة كل أشكال العنف و التمييز من خلال تطوير الآليات القانونية و الخدمات لتوفير الحماية و الوقاية و العلاج لضحايا العنف .
- و كما ورد من مجلس العدالة الاجتماعية في شمال وشرق سوريا التابع للإدارة الذاتية إحصائية بالحالات التي تتعرض لها المرأة من حالات عنف ضد المرأة بالإضافة إلى حالات الانتحار و الاغتصاب و القتل وهي كالتالي :

| نوع | العدد | الحل | قيد النظر | محكمة | مؤسسات أخرى |
|---------------|-------|------|-----------|-------|-------------|
| تعدد زوجات | 177 | 26 | ... | 145 | 6 |
| زواج قاصر | 112 | 72 | 9 | 31 | ... |
| العنف و الضرب | 144 | 33 | ... | 90 | 21 |
| انتحار | 5 | ... | ... | 5 | ... |
| اغتصاب | 2 | ... | ... | 2 | ... |
| قتل | 31 | ... | ... | 31 | ... |
| المجموع | 471 | 131 | 9 | 304 | 27 |

عاشراً : القانون السوري الخاص بالعنف ضد المرأة :

لا يوجد في سوريا قانون خاص يتعامل مع العنف المنزلي و خاصة ضد النساء ، فقد تعامل القضاء في سوريا مع هذا النوع من الجرائم مثل باقي الجرائم المتعلقة بالإيذاء و المشاجرة المنصوص عليها في المادة /540/ وما بعدها من قانون العقوبات السوري العام و غالباً لا تقوم الزوجة بتقديم أي شكوى (الادعاء) ضد زوجها لأسباب عديدة منها الخوف من الوصمة الاجتماعية و الأسوأ من ذلك أن وقد ذهب قانون الأحوال الشخصية السوري إلى السماح للزوج بضرب زوجته ضرباً خفيفاً ، حيث نصت المادة /305/ من قانون الأحوال الشخصية على كل ما لم يرد عليه نص في هذا القانون ، يرجع فيه إلى القول الأرجح في المذهب الحنفي و بناءً عليه نصت المادة /209/ من كتاب الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية (يباح للزوج تأديب المرأة تأديباً خفيفاً على كل معصية لم يرد في شأنها حد مقدر ، ولا يجوز له أصلاً أن يضربها ضرباً فاحشاً ولو بحق) .

أما بخصوص (جرائم الشرف) فلم يستخدم قانون العقوبات السوري العام /المصطلح المذكور / بل أشار إلى تلك الجرائم من الباب السابع تحت اسم /الجرائم المخلة بالأخلاق و الآداب العامة / الذي يحتوي على مجموعة أخرى من الجرائم إلى جانب الجريمة التي يسميها الفقهاء باسم القتل بدافع الشرف .

و نص قانون العقوبات السوري في المادة /548/ حتى عام 2009 على إعفاء الرجل الذي يقتل زوجته أو أخته أو إحدى أصوله أو فروعه التي يفاجئها في جرم الزنا أو صلات جنسية مع شخص آخر من العقوبة بشكل كامل ، و هو ما كان يسميه قانون العقوبات (العذر المحل) ثم قام القانون نفسه بوضع حد أدنى للعقوبة بالسجن سنتين ، و ثم رفع الحد الأدنى لعقوبة جريمة القتل بدافع الشرف إلى خمس سنوات ، و بتاريخ 17 آذار 2020م أصدر الرئيس السوري بشار الأسد المرسوم التشريعي رقم /2/ و الذي قضى بإلغاء المادة /548/ أي أن قانون العقوبات السوري بدأ بالتعاطي مع ما يسمى ب/جرائم الشرف/ مثل تعاطيها مع أي جريمة أخرى .

أما قانون الأحوال الشخصية السوري رقم /59/ لعام 1953م المعدل فقد نص على أن أهلية الزواج في الفتى و الفتاة تكمل بتمام الثامنة عشرة من العمر مادة /16/ كما تنص المادة /18/ أنه إذا ادعى المراهق أو المراهقة البلوغ بعد إكمال الخامسة عشر ، و طلباً الزواج يأذن به القاضي إذا تبين له صدق دعواهما و احتمال جسيمهما و معرفتهما بالحقوق الزوجية .

إحدى عشر : المعاهدات الدولية بمناهضة العنف ضد المرأة :

- إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اعتمده الأمم المتحدة في عام 1948م يوفر الاتفاقية الدولية الأساسية لمكافحة العنف ضد المرأة ، حيث يعلن عن المساواة في الحقوق بين المرأة و الرجل بما في ذلك الحق في الأمن الشخصي .

- يعرف الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المبادئ و القيم العالمية لقد كان له تأثير كبير على تطوير القانون الدولي لحقوق الإنسان لكنه يعتبر طموحاً أكثر منه مطلقاً و مفتوحاً للتأويل و لا يخلق التزاماً قانونياً للدول للحفاظ على هذه المبادئ .

- وفي عام 1981م دخلت حيز التنفيذ اتفاقية مهمة لمعالجة عدو المساواة للمرأة ، كانت اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة /سيدو/ هي أول اتفاقية لحقوق الإنسان الخاصة بالمرأة و لكن الاتفاقية لا تعالج العنف في الواقع لا يتضمن نص الاتفاقية كلمة /العنف/ على الإطلاق و لمعالجة هذا الإغفال ، اضافت اللجنة المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة عام 1992م توصية عامة خاصة بالعنف ضد المرأة دفعت إلى إنشاء مقرر الأمم المتحدة الخاص المعني بالعنف ضد المرأة ، و هو عمل مكرس فقط للقضاء على هذا العنف ، لكن التوصيات العامة ليست جزءاً من الاتفاقية الرسمية .

- أما منهاج عمل بكين الذي اعتمده المؤتمر العالمي المعني بالمرأة في عام 1995م يدعو الحكومات إلى اعتماد و تنفيذ و مراجعة التشريعات لضمان فعاليتها في القضاء على العنف ضد المرأة و لكنها لا تفرض أي التزام قانوني على الدول .

اثنا عشر : التوصيات :

1- ضرورة تدخل الأطراف الدولية من أجل ممارسة ضغوط على الدولة التركية بالسرعة القصوى لإيقاف استهداف المدنيين بشكل مباشر وتدمير سبل العيش التي تضمن حياة المدنيين خاصة النساء والأطفال ولا سيما أنهم الضحايا الأكبر لهذا العدوان .

2- دعوة المنظمات الحقوقية والنسوية السورية للتعاون والتدقيق في مختلف الجرائم التي ترتكب بحق المرأة خاصة تلك التي ارتكبتها الدولة التركية وفصائل المسلحة التابعة لها من أجل بناء ملف قانوني يسمح بمتابعة وملاحقة جميع مرتكبي الجرائم والانتهاكات وإحالتهم إلى المحاكم الجنائية الدولية .

3- تفعيل القوانين الهادفة لحماية المرأة في مناطق شمال وشرق سوريا .